

ذوالقعدة ١٣٨٧
يَناير-فبرَائر ١٩٦٨

قافلة الزيت



صورة الفلاف

كسوة الكعبة المشرفة تصنع في مكة المكرمة .
(راجع المقال في هذا العدد)

تصوير : عبد اللطيف يوسف

تصميم وطباعة مطابع المطبوع

Designed and printed by Al-Matba'at Press, Dammam, Saudi Arabia

على عتبة الأصالة

يسأل الكاتب أحيانا عن السبب الذي يجعله يمسك بالقلم ليكتب كلمة أو ينشئ مقالا . ولا يلبث أن يلي هذا تساؤل عن سبب اختيار موضوع معين دون سواه في وقت معين .

ويجب البعض بشكل لا يفي السؤال حقه فيقولون : لنفس السبب الذي يدفع النجار لأن يقوم بتحويل قطعة من الخشب الى كرسي أو منضدة . ولنفس السبب الذي يقوم البناء من أجله بتحويل الحجارة والاسمنت الى مبان تلوذ فيها من غائلة البرد وغبى الحر .

ولا يخلو هذا الجواب من الصدق في كثير من الأحيان . وخاصة عندما ينتج الكاتب قياما بواجب تفرضه عليه ظروفه المعيشية . ومثل هذا الانتاج يفتقر غالبا وبشكل واضح الى عناصر الابداع الفني وإلى العاطفة الصادقة والخيال الخصب . وهذا لا يعني خلوه من فائدة مثل الكرسي الذي يصنعه النجار . والمنشئ الذي يقوم البناء بجمع لبنائه ورفع عمده .

وقد يأتي الجواب على تساؤل الكاتب مقرونا بشيء من الأنانية وحب الظهور . كأن يكون عند الشروع في عمله مدفوعا برغبة ملحة في أن يكتب شهرة في ميادين الفكر والأدب فتفوح من اسمه رائحة حبر المطابع وتنهل عليه رسائل المعجبين من كل حذب وصوب .

ويرى النقاد أن الانتاج الأدبي في مثل هذه الحالة يكون خاليا من الحياة . تبدو الصنعة متفشية في مختلف أجزائه . ويندر أن يكتب شهرة فعلية . وان تحققت له شهرة ظاهرة فلا بد وان تكون ذات مدى قصير في طريق البقاء .

والأصالة الفنية لا تسلم زمامها الا للفنان الذي ينتج استجابة لرغبة جامحة تناديه من أعماق نفسه . وتهيب به أن ينتج ليعبر عن مشاعره وأفكاره وفنه بصدق ليقدّم للملا شئنا جديدا . هذا الدافع الداخلي هو الذي يفرق بين النجار العادي الذي يصنع كرسي أو بين الفنان الذي يحول قطعة الخشب الى تحفة فنية ذات أصالة ونصيب من الجمال والبقاء . وهذا الدافع نفسه اذا وجد هو الذي يجعل من الكاتب فنانا صادقا مبتكرا . وبفقدانه يعود الكاتب نفسه الى الصناعة فينتج عملا عاديا باهت الألوان خافت الأنوار .

ومثل هذا السبب نجد لدى قراءتنا سير الكتاب والفنانين المبرزين انهم كانوا يعملون في ساعات أعمالا رائعة ويعجزون في ساعات غيرها عن أي انتاج قيم . وهكذا . فاذا أراد الكاتب أو الفنان أن يعرف مدى نجاحه في الوصول بفنه الى المستوى المرجو من الأصالة والصدق عليه أن يتساءل « لماذا أكتب أو أنتج ؟ » ولا شك أن نصيبه من النجاح سيكون في مدى صدقه مع نفسه عند الاجابة على هذا السؤال .

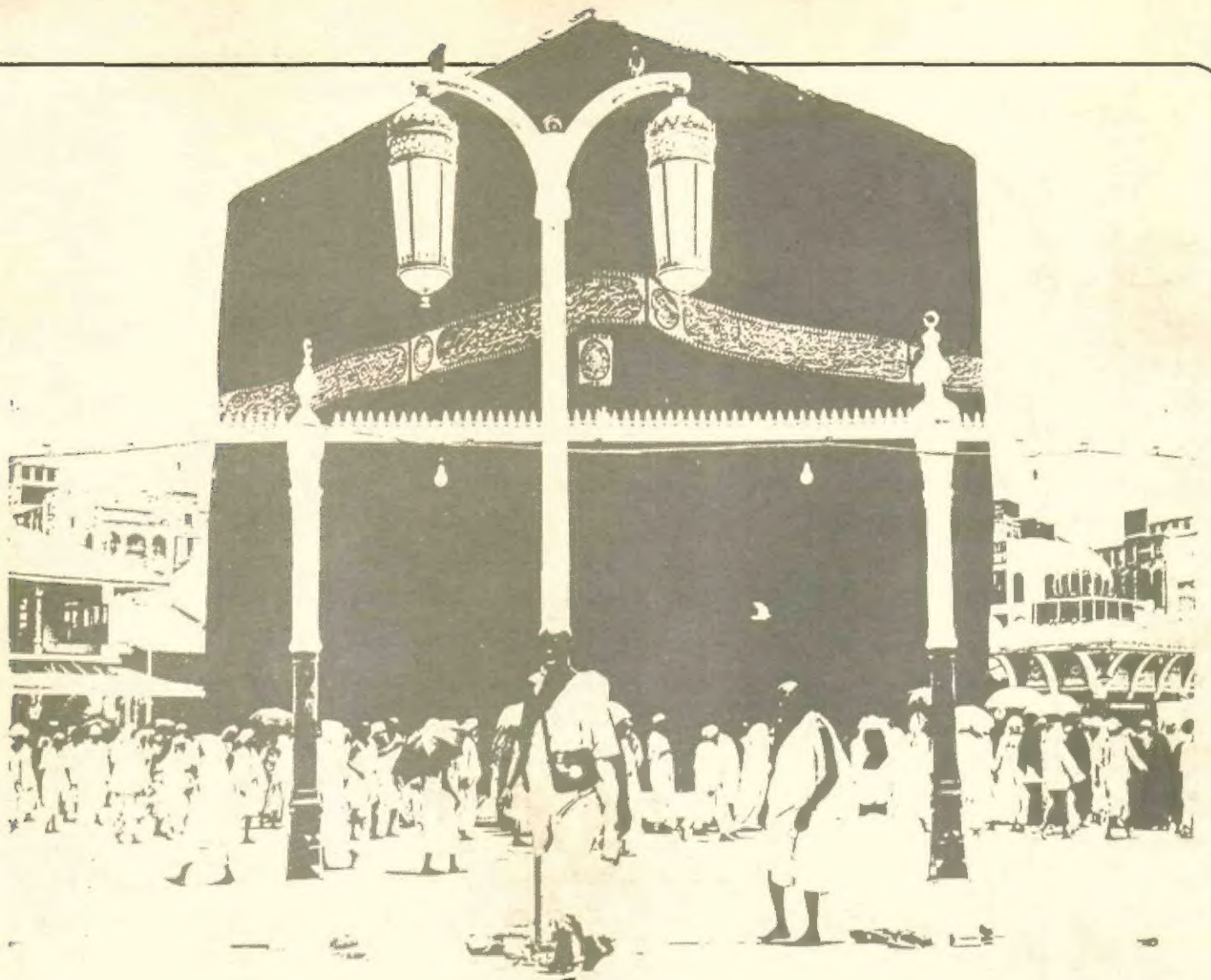
فؤاد الرئيس

قافلة الزيت

العدد الحادي عشر المجلد الخامس عشر

تصدر شهريا عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزيع مجتمعا

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ - الظهران . المملكة العربية السعودية



شاهد من تاريخ مكة (٢) بقلم الاستاذ احمد السباعي

لمجاورين من غساسة الشام .
أنمضي بنا خلفهم في هذا الزقاق الضيق ..؟
انه ينتهي بنا الى نهاية الحلة التي يسكنها الغساسة .
واذا شئت فادرج بنا يسارا ، فثمت بعض بيوت
للسفانيين تتخللها متاجر لبعض العطارين ،
يعرضون فيها أصنافا من الحبوب وأنواعا من العطارة
وأشكالاً من الفواكه المجففة ... لا . لا تذكر
الشيء أو السكر ، فذلك أسماء لا تعرفها
قواميسهم .. لا . ولا الدخان ، فقد يتهمون
عقلك بما لا يرضيك .

ممرات غيره جعلوها تتخلل بيوتهم كمدخل
الى الصحن . ولكنه كان موضع ارتكاز الحركة
العمرانية في مكة ، وكان مفروضا على الحاج
في جاهليتهم أن لا يصافح الكعبة يوم قدومه
الا من هذا الباب .
أتراك تشهد هذا الزحام المتلاطم على حفاقي
المدخل ..؟ انهم حجاج من الغساسة ، قضوا
مناسكهم ، وأوفوا نذورهم ، واطوفوا بالبيت
العتيق . وها هم يأخذون طريقهم بين ملتويات
الأزقة حول باب بني شيبه ، حيث تقوم بيوت

أنسألني؟؟
أنا على استعداد لأن أرسم لك مكة القديمة
في عهدها الجاهلي ، يوم كانت عاصمة
قرش . سأرسمها لك على لوحة ما تشاهد اليوم
من معالمها الجديدة . فهل تبيح لخيالك أن
ينطلق ، الى أبعد ما يتسع له الخيال .
أترى موقفنا ..؟ أنا في ظل باب بني شيبه .
وأحسبك تعرف أنه « شيبه بن عثمان » . لم
يكن بابا بالمعنى الذي نشهده اليوم ، بل كان
مرا الى صحن الكعبة بين البيوت ، الى جانب

ودع الزقاق يلتوي بك لتصافح بيت العباس ،
ودورا لجبير بن مطعم . ودورا لآل عدي من
ثقيف .

ولم يسن ان شئت فيما نسميه اليوم شارع
القشاشية . فهناك سوق الفاكهة ،
تتحد منه الى سوق الرطب ، ليواجهنا دار
مال الله . وأحسبك لا تجهل أن مال الله في
الدار وقف على مواساة المرضى واطعامهم ، وإن
ثمت طبيب وكاهن يعانين المريض ، ليرسله
أحدهما الى سوق العطارين ، أو يحيله الآخر
الى تميمية يشتريها من سادن الصنم في ظل زمزم .
ودعنا نقطع المساحة أمامنا ، لنسير في شعب
ابن يوسف ، ونسميه اليوم شعب علي . هذه
دور عبد المطلب بن هاشم ، حيث ولد سيد
الخلق صلوات الله وسلامه عليه في أقرب دار
منها تشرف اليوم على الشارع العام . وتلك دور
لأبي طالب ، تواجهها دور للعباس
ابن عبد المطلب ، وأخرى لبعض أولاد هاشم .
ولعله لا يعجبك أن تتخلل الأزقة الضيقة الملتوية
بالتواء الجادة بين تلال الشعب وهضابه . لنستقم
اذن باستقامة الشارع . هذا شعب بني عامر ،
يضافحك في مدخله دار العاص . وإذا رأيت
أن لا تتغلغل في دروبه فحسبك أن تعرف أن
ثمة منازل لبني بكر ، وأخرى لبني عبد مناف .
فامض بنا في استقامتنا الى المعلاة .. تربث في
خطوك قبل أن تمشي . فهذا موقف الحمارين
يكرون حميرهم للمتزهين وقصاد الفسحة بين
بساتين الخرمانية . وشعب الصفي ، وأخفاف
منى ، ومزارع وادي طوى ، والزاهر . وامض
خطوة لتشاهد سوق الجزارين على يمينك في
شعب أبي دب ، وشعب أبي دب يتصل بأطراف
شعب بني عامر من جهة المقابر حول ما نسميه
اليوم « برجة الرشيدى » .

ولاف شئت أن تترك الطريق يمضي بنا
قدما ، فليس أمامنا الا الحجون
الجاهلي على يمين الطريق . أو ثنية المدنيين في
يساره . ونسميها اليوم ربيع الحجون اعتباطا .
وليس أمامنا اليهما الا بساتين كانت تسقيها
بعض الآبار ، ثم بساتين تنتهي بشعب الصفي ،
وهو ما نسميه اليوم حي المعابدة ، ثم بساتين
تعرج بمعارج الطريق ، أو تستوي باستوائه الى
خيف منى .

فما يمننا أن نختر الطريق ، ونحن في
المعلاة . دعنا نذهب الى اليسار فيما كنا
نسميه « الحلقة » . هذه بساتين ابن الزبير يتخللها
هذا الدرب الضيق ، ليسلنا الى القلق الذي فلقه
ابن الزبير وعبد الممشاة .
أرهقك التصعيد في مرتفعات ابن الزبير ؟..
لقد هان الأمر ، فامض بنا نهبط الى قرارة
المدحى . هذا جبل الديلم يشرف علينا ، ونحن
نمر في دروب متشابكة بين بيوت لبني غزوان
وأخرى لأولاد الحارث بن عبد المطلب وبعض
بني شمس .

أهائلك الضوضاء الصاعدة من مهابط القرارة ؟..
لا عليك فهو لاء صبيان من قريش يلعبون المدحى .
وهو نوع يشبه « البرجو » عندنا .
هلم فهذا الطريق أمامك يسلمنا الى الجودية ،
وهي من أرباض مكة ينزلها فقراء الاعراب من
حجاج الكعبة ، فتزدهم بها خيامهم .
دعنا نتخلل الخيام الى سوق الغنم . فردة
المجزرة ، فزقاق المدعاة . وستجد في سوق
الغنم أثر المكان الذي قيل ان النبي صلوات الله
عليه اقتعده في إحدى روحاته من أعالي مكة .
وستشهد أثر المكان على يسارك قبيل المدعاة ،
وقد أحيط ببعض الحجارة ، واتخذته الناس اليوم
مسجدا .

وبعد ، فهذه دور لأولاد الحارث وبعض
أولاد العباس وقوم من خزاعة تنتهي بنا الى ما نسميه
اليوم المحنطة ، وهي ساحة واسعة كانت تحط
فيها غير الحنطة والسمن والعسل ، وتطل عليها
دار أبي سفيان ، التي أعلن النبي حرمتها يوم
الفتح ، وقد نادى : « من دخل دار أبي سفيان
كان آثما » .

ولنمش منحدرين الى المروة . هذه دور لآل
عتبة وأخرى لآل ياسر ، وهذه حوانيت الحجامين
على خطوة منها .

أبرقك بعد هذا أن تعرج بمعارج الطريق
الى ما نسميه الشامية ؟.. هناك دور لآل زرارة
من تميم ودور لآل الخطاب بن نفيل ، تسلك
بينهما دربا الى سوق الخدائين . ثم تتحدر
في زقاق لبني خزاعة يسلمنا الى دار لبيت المال
وأخر لخزانة الكعبة وآخر لشعبة بن عثمان وآخر
لآل الزبير ، لتصافح بعده دار الندوة ، التي
بناها « قصي » كمجلس لنواب الأمة يتبادلون فيها
الرأي والمشورة .

ولكن ما لنا تركنا المسعى دون أن نتبع
تخطيبتها الى الصفا . لقد كدت
تسني هذا الدرب الى يسارك ، فامض بنا .
هذه دور لبني عدي تفضي بنا الى الخرمانية ،
فسوق اللبانين ، فساحة لبني سهم ، فدور
لأولاد الحكم بن حزام ، بينها سقيفة يفتش
ظلها بعض صغار الباعة ، ويلتوي في صدرها
زقاق ينتهي عند الجدار الخلفي لدار أبي سفيان ،
حيث تقوم دار لخديجة بنت خويلد ، كان
يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم عندما بنى
بخديجة ، وفيه ولدت ابنته فاطمة .

وتعال نستأنف عودتنا الى المسعى ، لنأخذ
طريقنا الى الصفا . هذه منازل لأولاد عدي
ابن كعب تنتهي الى ساحة الخطاب ، وهي ساحة

ورثها عمر ، فتركها لصغار الباعة يحتلون أطرافها
ببضائعهم ، فاستغل الباعة عطفه . وراحوا يبنون
لبضائعهم ظللا تقيهم الشمس . فثبت الظلل
وضاعت معالم الساحة ، فعجز الورثة عن اثبات
حقوقهم فيها . وهذه الساحة تفضي الى دار
العباس ، فسقيفة لبني عائدة تنتهي بنا الى الصفا ،
ثم تخرج بنا في الطريق الى فوهة أجياذ ، لنمر
بسوق البرازين ونصافح بجواره البيت الذي اتخذه
النبي صلى الله عليه وسلم مكانا لتجارته شريكا
مع السائب بن السائب قبل البعثة .

ثمن الآن على فوهة أجياذ ، فاذا شق
عليك أن تمعن في مسالكه الطويلة ،
فحسبك أن تعلم انه أجياذان ، أجياذ الكبير ،
وينتهي الى ما نسميه اليوم « بئر بيله » ، وكان ينزله
ابتداء من رواق المسجد اليوم قوم من بني تميم ،
كانت بيوتهم تمتد أمام أجياذ الى صحن المسجد .
فاذا صعدت بعد بيوت بني تميم متجها الى مداخل
أجياذ اليوم ، واجهتك دور لبني مخزوم ، ثم دور
لجماعة من الأزد حول موقع دار الصحة اليوم .
وعلى غير بعد من ذلك كان منزل أبي جهل
ابن هشام ، ثم بيوت من الشعر كان ينزلها بعض
الرعاة من البدو الطائرين ، انتجاعا للكلأ من
مخاريف الجبال الى الصافح .

وأجياذ الصغير وينتهي الى مواقع السد اليوم ،
وينزله بعض آل عدي بن عبد شمس وتنتهي
بيوتهم الى سقيفة كانت للحواتين ، ثم دار
لعبد الله بن جدعان ، التي تم فيها حلف الفضول
بأن لا يقر في مكة ظالم ، ثم دور لآل سلمة
ابن هشام ، وإلى جوارها بئر كانت تتشابهك
عندها الأزقة التي تتصل بأجياذين ، احتفرها
آل سلمة مع جماعة من جيرانهم ، وكان يردها
السكان من أجيادين . ولا أعتقد ان الخبت بعد
دور آل سلمة كان مأهولا ، الا أن كان بعض

الرجل يخيمون في بعض شعابه اذا هبطوا مكة .
كنا أطلنا الوقوف على فوهة أجياذ في
لغة نظرنا العامة الى منازل القبائل فيه ،
فقد آن لنا أن نستأنف سيرنا مع استقامة الجادة
في طريقنا الى المسفلة . هذا سوق الخزورة على
غير بعيد مما نسميه اليوم السوق الصغير ، وهو
من أوسع أسواق مكة . أتشهد هذا الزحام بالمناكب
والأقدام رغم امتداد السوق وسعته ؟.. انه معرض
للبدلين والبقالين والعطاريين واللباعين وصناع
الآلات الزراعية .

وهذه العطفة الصاخبة على يمينك ، أتدري
ما شأنها ؟.. انها متجعجع الحجاج يتاعون منها
هداياهم من الأصنام تبركا من مكة ، يحملونها
الى بيوتهم وبيوت أصفياهم لتأخذ مكانها من
صدور مجالسهم ، فتقبل دعواتهم السخيفة
وابتهالاتهم المضحكة .. فهل بعيدا عن هذه
الترهات .

هذه دور لبطن من آل صفى ودور
لآل عبد الدار ، وهذا درب الخناطين يلتوي
أمامك بالتواء الجادة الى ما نسميه « الشبيكة » .
انه سوق لباعة الحنطة من منتجات مزارع الحنطة
في جنوب مكة ومستوردات اليمن ، البلد السعيد .
هيا لنمض .

لا تتيامن كثيرا الى ما نسميه الشبيكة ، فثمت
قفر لم ينزله أحد الا في قرون متأخرة . لنمض
اذن في جادتنا المستقيمة الى المسفلة ، ولا تنس
— قبل أن تخطو — هذه المنازل المشرفة على
نهاية سوق الخزورة ، فهي لجماعة من بني
مخزوم . وهذه دور لبني أسد بن عبد العزي ،
وتلك منازل على سفح ذي أعاصير ، ينزلها بعض
فقراء البدو من قبائل متفرقة ، وبعض من
أحاييش قريش . ولعل بعض القرائن تدل على
أن « ذا أعاصير » هو ما نسميه اليوم جبل عمر ،

ولا أؤكد لك مصدر التسمية . فليس فيما قرأت
ما يثبت شيئا معينا .

ودعنا قبل أن نمضي الى أباطح السيل نقف
الى هذه الشبة التي تهبط الى جرجول الخلفية ،
وكانوا يسمونها الحزنة ، كما نسمي اليوم جرجول
الخلفية « بالهنداوية » . انها حزنة صعبة المسلك
لم تفلح كطريق الا في عهد العباسين ، فلحقها
جعفر البرمكي ليصل الطريق بين الجادة وبين
بستان له كان يملكه في ما نسميه « الحفائر » .
لنمض فيما نحن فيه الى المسفلة . هذه هي
الحنطة ، انها صخرات في طريق المسفلة ،
لا بد انها كانت سوداوات ، فالحنطة في اللغة
هي السواد . لتنهون من خطوك فهذا صاحب
الازلام على كتف الصخرة الكبرى يستقسم
بالازلام ، وهؤلاء غواة من الاعراب يزدحمون
حوله في انتظار دورهم أمام الازلام .

للمن فهذه مزارع المسفلة على خطوات
مننا . أترى هذا الماثل ؟.. انه
ماجل أبي صلابة . وهو مجمع المياه ومنحدر
السيل يسقي أكثر من بستان حوله بما يجتمع اليه
من الأمطار . لقد تناولته يد البناء في عهد المأمون
فكان بركة ، وسماه الناس بركة الماثل ، ثم
ما لبثنا أن حرفناه فهو اليوم « بركة ماجد » .
أبروقك أن تمضي الى أكثر من هذا ؟.. لقد
انتهت مكة الآهلة ، وليس أمامك الا ماجلان
صغيران يسقيان بعض المزارع في مسيل الوادي .
واذا استطعت أن تمد ناظرك الى أبعد من هذا ،
فسوف يسلمك الوادي الى مزارع تكتنف الجادة
فيما يسمونه جرجول الخلفية ، ونسميه اليوم
الهنداوية .

دعني أودعك عند هذه النهاية ، وسألتقي بك ،
اذا شئت ، في مشاهد جديدة من تاريخ مكة
القديم .

نهر بركي في الشعر العربي

بقلم الأستاذ محمد عبد الفني حسن

في الصيف على حال من الضحل الى حد أن الضفادع تدعوه فلا يجيب ، والجراة تغوص في قعره فلا تغيب .
وقد يكون النهر فيه بقعة من الأرض لافتا لأنظار الناس عامة ، وللشعراء على وجه الخصوص ، فلا يدعونه دون أن يصفوه ويصوروا لنا انفعالهم به ، وذكرياتهم عنده ، حتى ولو كان في حالة التجمد . فإن حالة تجمد مياه النهر بفعل البرد الشديد لا تقل إثارة للشاعرية عن حالة « السبلة » التي تكون عليها الأنهار في أكثر أيام العام . وهنا تحضرنا قصيدة « النهر المتجمد » للشاعر ميخائيل نعيمة التي يقول في مطلعها :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخريبر ؟
أم قد هرمت وخار عز ملك فأنثيت عن المسير ؟
يمر « نهر » على شعراء ، أو يمرّون هم عليه ، فلا يلتفتون اليه ، ولا يأخذ من اهتمامهم قدر ما يأخذ منهم منظر طبيعي آخر . فإن نهر « بردى » بالشام قد مرّ عليه الشاعر « ابن منجك » من شعراء القرن الحادي عشر الهجري ، ولكنه لم يلتفت اليه ولم يهتم بوصفه ، على حين خص « قرية » عربين « الشامية بثلاث مقطوعات . ولعله ، رحمه الله ، كان مشغولا بوصف مجالس له بقصر الأمير في دمشق ، ومدهح .

وكذلك كان الشاعر « الوأواء » الدمشقي ، من شعراء القرن الرابع الهجري ، فقد اشتمل شعره على أغراض في وصف الثريا ، والروض ، والبنفسج ، والغيث ، ولكنه لم يتجه شطر واحد من أنهار الشام التي اقتصّ غيره من شعراء الوصف في تصويرها .

وقد اكتفى بعض الشعراء في القديم والحديث من الوقوف على نهر بردى بإشارة عابرة ، أو خطرة سائرة . ولكن هذه الإشارة كتب لها

تأثير عظيم في نفوس الشعراء ، فلقد كانت دائما في القديم والحديث وحيا لكثير منهم ، ومددا لأفهامهم ، ومثارا لشاعريتهم . وهي من المشاهد المائية التي سكنت إليها أنفس الشعراء ووجدت عندها متسعا من القول ، شأنها في ذلك شأن البحار والغدران والبحيرات والشلالات . ولا فرق في هذا بين شاعر عربي وشاعر غربي . فالشاعر الانجليزي « ورد زورث » مشهور بقصائده الرائعة في وصف « منطقة البحيرات » بشمال انجلترا التي أقام فيها . والشاعر الفرنسي « لامارتين » اشتهر بقصيدته « البحيرة » التي مزج فيها بين الوصف الطبيعي والوصف الشعوري ، لمقتان حبه . والشاعر العربي الدمشقي « ابن النقيب » من شعراء القرن الحادي عشر الهجري اشتهر بغزاهم الشديد بأنهار الشام وتردده عليها ، وتقبّوه ظلال أشجارها ، ووصفه لجولاته النهرية الشاققة في كثير من قصائده .

ولقد كان نهر النيل ، وبردى ، ودجلة ، والفرات ، وبانياس ، وطائفة من أنهار الأندلس باعثا على التأمل لكثير من شعراء العرب في الماضي والحاضر . ولا تزال ترنّ في آذاننا قصائد كاملة ومقطعات في وصف النيل والتشوق اليه لشعراء من أمثال البهاء زهير ، ومحمود سامي البارودي ، وأحمد شوقي ، وإسماعيل صبري ، ونجيب الحداد ، والشيخ جاني يوسف بشير ، ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم . كما أن قصيدة الشاعر عبد الله بن المعتز في وصف « دجلة » تصور لنا النهر في حال فيضانه . أما ابن خفاجة الأندلسي ، فيرسم لنا صورة رائعة لأحد أنهار الأندلس وهو منعطف مثل السوار ، والأزهار تكتنفه من جانبيه ، فكانه المجرة في السماء . أما الشاعر الصنوبري فلم يدع نهر « قويق » الذي يمرّ بحلب ، وكأنه على صغره ، يفاخر النبل والفرات في الشتاء اذا ما علت فيه مياه السيول والأمطار ، بينما يبدو

من التمجيد والبقاء ، والسيرورة والانتشار ما لم يغفله التاريخ الأدبي للقصائد العربية . فالشاعر الاسلامي المخضرم حسان بن ثابت لم يفته ، وهو يمدح الغساسنة بالشام قبل أن يشرح الله صدره للإسلام ، أن يشير الى كرم ممدوحه وهم يسقون من يقد عليهم ماء نهر بردى المصفق بالرحيق ، فيقول بيته المشهور :

يسقون من ورد البريص عليهمو بردى يصفق بالرحيق السلسل وهو من قصيدته اللامية المشهورة التي مطلعها :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي ، فالبضيع ، فحومل ؟ وتذكرنا هذه الاشارة السريعة الباقية الى نهر بردى ، بالاشارة الرقيقة المؤثرة التي جاءت في مطلع قصيدة الشاعر أحمد شوقي المشهورة « نكبة دمشق » حيث يقول :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق ولعل الشاعر ابن التقيب الملقب بـ « ابن حمزة » كان أرق شعراء الشام ، وأكثرهم لصوقا بنهر بردى والغوة ومنازه دمشق . وقد كان يتخذ له عند احدى شجرات الوادي على ضفاف بردى مقبلا ، فلم يشأ أن يترك هذه الانعاطفة الى النهر الفاتن تمرّ دون أن يسجلها في شعر يقول فيه :

يا سرحة الوادي ، سقيت من الحيا غدقا يواصل وبله بقطاره لم أنس يومي في ذراك وحيدا من ظلك الألي ديب عذاره ! لما أنخت بجانب النهر الذي قد طاب لي عيش مضى بجواره حيث النسيم جرى عليه مهمنا فكأنما ناجاه بعض سراه ! فتجعدت منه الأسرة واغتدى بخبره ينيك عن أحباره

مضى على نهر بردى بعد ذلك قرابة ثلاثمائة عام لم يقف عليه شاعر فيما وقفنا عليه من شعر ، الى أن جاء العصر الحديث ، فأبنا قلوب باقة من الشعراء تهفو اليه ، وتتحدث عنه ، وتطيل الحديث بما لم نعهده عند الماضين من الشعراء . فهذا هو الشاعر الفحل محمد البرزم رحمه الله المتوفى سنة ١٩٥٥ م يصنع مطولة في دمشق ، ويخصّ منها نهر بردى وفروعه بشمانية عشر بيتا يقول منها :

صاف كأخلاق الكرام يحثه كرم النجار ، لينعش المفلوذا متفرق طوع النسيم ، مسلسل كخواطر الشعراء رُمنَ قصيدا

واذا كانت قصيدة محمد البرزم في « بردى » قد بلغت بضعة عشر بيتا ، فإن قصيدة الشاعر الكبير خليل مردم فيه قد بلغت ثمانية وسبعين بيتا ، وهو أطول قدر من الشعر قيل في هذا النهر حتى اليوم . ولعل الاطالة هنا لأضفاء أهمية على هذا النهر الصغير . ولكن مما لا شك فيه أن خليل مردم قد أراد أن يستكمل صورة النهر بما لا يفوت حتى دقائقه . ومن تصويره الفاتن لبردى قوله ، عليه رحمة الله :

يربك في جريه من مائه صورا تبدو على ثبح منه وضحاح ما بين منسرب ، أو مزبد لجب أو مستدير كظهر الترس منداح ما مرّ في بقعة الاّ وخاطبها طورا بغمغمة ، طورا بافصاح في كل مرحلة لحن فمن هزج الى هدير ، الى ترنيم نواح ! وما اشترك والد وولده في وصف نهر ، كما فعل الشاعر خليل مردم ، وولده الشاعر عدنان ، في وصف نهر بردى . فلعدنان مردم قصيدة في بردى تبلغ أبياتها الأربعين ، وقد أودعها ديوانه الموسوم « صفحة ذكرى » . على أن له في هذا الديوان نفسه أربعة أبيات في تحية بردى ، يقول فيها ويبعد :

بردى يزغرد في مساربها من نشوة ، وكأنه غرد في كل مرحلة يسير بها لحن له ، وسواس ترد فيناره بيديه عازفة ما كثر دهر ، أو أهل غد يستصرخ الماضي بنأتمه فيهب تاريخ ، ويحتشد اهتم عدنان مردم في مطولته بالأمجاد العربية التي مرّ بها بردى أكثر من اهتمامه بتصوير النهر نفسه . ونجد طول النفس في تصوير بردى عند الشاعر أنور العطار . فقد نظم في النهر قصيدة بعنوان « بردى » تبلغ أبياتها الستين ، وقد مزج فيها العطار بين الأمجاد والذكريات والصور الحسية ، قائلا :

تنتحي جلق الحبية لصفان وتجري في مهدها مطمئا وهي في فرحة المشوق تلاقك وتحنو عليك صدرا وحضنا وتحنيك بالموانس لدنا وتناجيك بالصوادح لسنا وتغني فيخفق النهر قاعا وضافا خضرا نطافا ومنا تترأى في السهل تنساب فيه تنشى ما شئت أن تنتشى كثيرط من فضة في وشاح سندسي يسبي النواظر حسنا على أن هذه ليست القصيدة الوحيدة لأنور العطار في بردى ، فله فيه قصيدة أخرى رائية عنوانها « النهر الشاعر » . وإذا كان بردى قد جذب اليه بعض قلوب القرييين منه ، فإن هناك بعض القلوب الكبيرة التي اشتاقت اليه على بعد . فقد كتب الله على الشاعر المهجري جورج صيدح أن يزح الى دار الهجرة في أمريكا الجنوبية ، ولكنه وهو في المغرب ، ينظم قصيدة عنوانها « بردى » تبلغ أبياتها ستة وثلاثين بيتا وعلى الرغم من كونها داخلية في شعر الحنين الى الأوطان ، فإن فيها تصويرا للنهر ، يقول فيه :

أهواك في ثوبك الفضي زركشه بدر الدجى بشعاع حوله مسدا أهواك في صفحة للفجر ضاحكة خطّ النسيم عليها شعره زيدا أهواك في قلبك الشفاف لاح به ظل المآذن والأشجار مطردا أهواك كالليل وثابا ومقتحما كالافغوان تولى ، كالغزال عدا أهواك في يقظتي ، أهواك في حلمي أهواك مقتربا ، أهواك مبتعدا

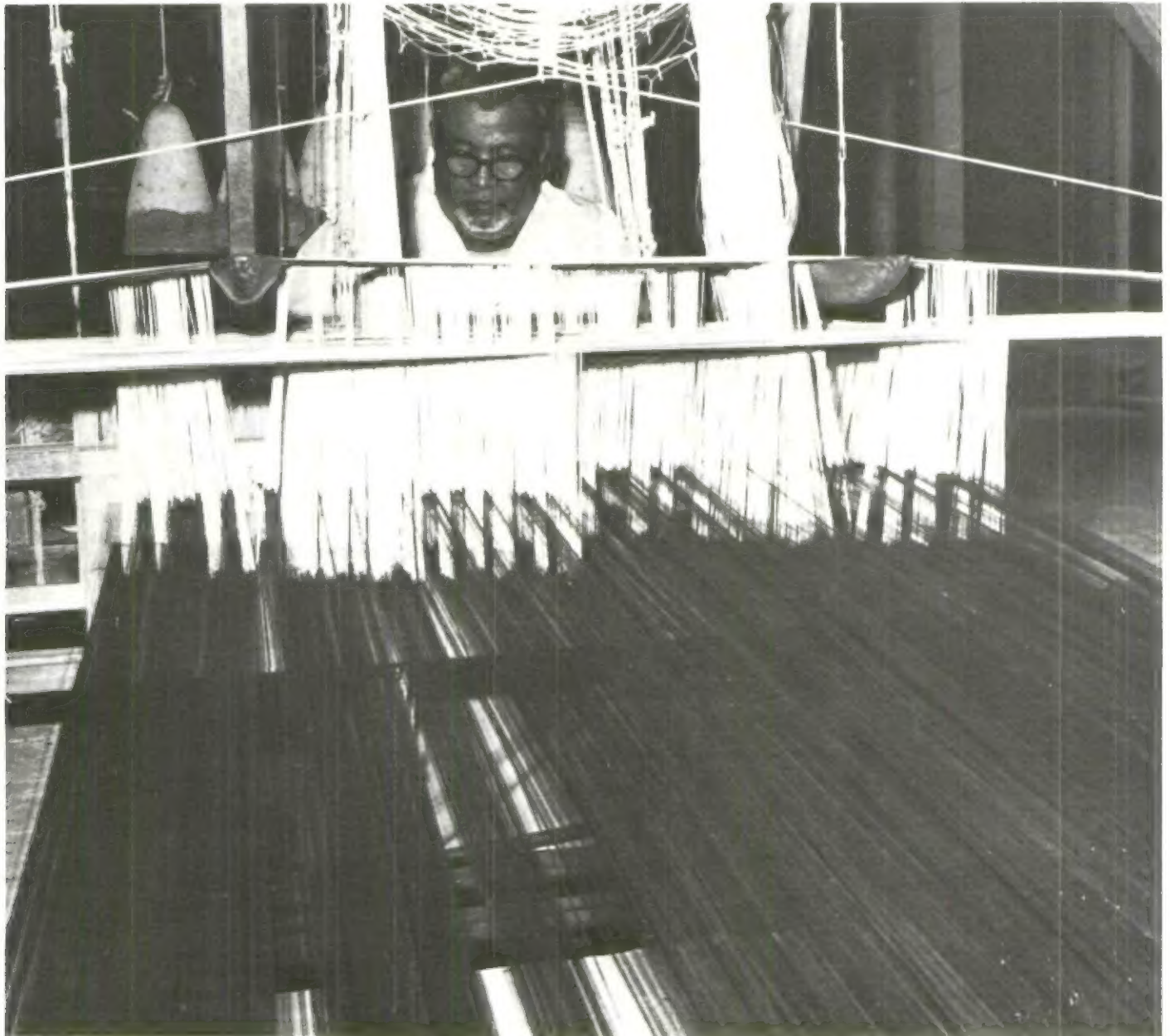
ولم ينفرد شعراء الشام بوصف نهرهم بردى أو التعلق به أو الحنين اليه ، فهناك شاعران من أهل الكنانة دعتهما مناسبة مهرجان شعري الى الاقامة بدمشق بضعة أيام في خريف سنة ١٩٦١ ، فوجدا من غير الوفاء أن لا يكون لهما اطلالة على بردى ، وهما مطلآن عليه في مقامهما . أما أحدهما فهو الشاعر العوضي الوكيل ، الذي قال محبّا النهر :

الى بردى جئنا ، وفي النفس هفوة اليه ، وفي الأحلام فرط حنين نسير على شطبه نسترجع الذي مضى من ليالي المجد منذ قرون ونرشفه ، لا فيض ماء ، وانما هوى في نواحي النفس جدّ متين وأما الآخر فهو الشاعر صالح جودت ، الذي قال في وقفة على بردى :

فديتك يا بردى ما جريت تغيت بالحب اذ تهلدر تجبّ عيونك سحر العيون وتحسد رونقك الأنهر على درجائك طال الربيع وطاب بك الصحب والمعشر وبعد ، فهذه هي بعض وقفات من الشعراء القدامى والمحدثين على نهر بردى ، الذي قال فيه المؤرخ الأديب أبو البقاء البدرى المصري الدمشقي ، من علماء القرن التاسع الهجري « ان رؤية هذا النهر تذهب الهم وتزيل الحزن » .

كُنْ أَصْنَاءَ كُنْتُمْ كِسْوَةَ الْحِكْمَةِ لِلشُّفْعَةِ

حلة سوداء من الحرير الخالص حاكها أيدي صناع سعوديين مهرة وزينتها بحزام كتبت عليه الآيات الكريمة بخيوط فضية مموهة بالذهب
فجاءت تنطق بالروعة والحسن والجمال .



ينسج القماش على الأنوال ، وتنسج فيه أيضا الكتابة التي جرى اعدادها مسبقا .

التاسع من ذي الحجة من كل عام ، وأثناء وجود الحجاج في عرفات ، يؤدون مناسك الحج ، ويقدمون لله الضحايا ، يقوم سدنة البيت الحرام بنزع الثوب القديم عن الكعبة المشرفة والباسها الكسوة الجديدة المصنوعة من الحرير الخالص المحلى بآيات ونقوش مطرزة بخيوط من الذهب ، حتى اذا ما أشرق يوم العيد ، وعاد الحجاج الى المسجد الحرام ، بدت لهم الكعبة المشرفة ترقل بثوبها الدمقسي القشيب وكأنها تشارك عباد الله الصالحين فرحتهم وابتهاجهم بالعيد السعيد ، فيهنئ بعضهم بعضا ويشكرون الله على خيراته ونعمه . وفي عهد المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، أنشئ لصناعة الكسوة معمل خاص في مكة المكرمة ، جعلت له ادارة نشيطة وميزانية خاصة ، فقام بالمهمة المسندة اليه خير قيام ، وأصبح يعد للكعبة المشرفة في كل عام كسوة بهية أنيقة يشهد بجودتها ودقة صنعها كل من زار مكة المكرمة ، وحج بيت الله الحرام .

تاريخ الكسوة في الجاهلية والإسلام

يختلف المؤرخون في تاريخ كسوة الكعبة المشرفة . فالمرزخ أبو الطيب القاسي يذكر في كتابه « شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام » أن أول من كسا الكعبة على ما قيل له هو النبي اسماعيل عليه السلام ، ولكن لم يؤيد كلامه هذا أحد من المؤرخين القدماء . وما يذكره القاسي أيضا أن أول من كسا الكعبة كساء كاملا من الحرير المقصب هو تبع الحميري ، وقد أيده في ذلك محمد ليبب البتوني في كتابه « الرحلة الحجازية » حيث قال : « وأول من كساها تبع أبو كرب أسعد ملك حمير ، حين مرّ عليها راجعا من غزوته ليثرب سنة ٢٢٠ قبل الهجرة » ، ولكنه قال انها كسيت بالبرود المقصبة وانه عمل لها باب ومفتاح ، واستشهد على ذلك بما قاله تبع مفتخرا .

فكسونا البيت الذي حرم

الله ملاء مقصبا وبرودا وأقمنا به من الشهر عثرا

وجعلنا لبابه اقليدا
واذا تتبعنا الروايات التاريخية ، المختلفة نجد أن معظمها يجمع على أن « تبع » هو أول من كسا الكعبة وذلك قبل الهجرة بقرنين . ولئن كان ملك حمير هو أول من كساها من الرجال ، فإن أم العباس بن عبد المطلب هي أولى من كساها

من النساء ، وقد كستها بالحرير والديباج وفاء لنذر نذرته . وقد ظلت قريش تكسو الكعبة عاما بعد عام حتى كان عهد أبي ربيعة المخزومي ، وكان في سعة من أمر ديناه ، فقال لقريش : « اكسوها من مالي عاما وقوموا بكسوتها عاما » فسمي بذلك عدل قريش . واستمر الأمر على ما هو عليه حتى جاء الاسلام ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بكسوتها بالثياب اليمنية ، ثم كساها من بعده أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وابن الزبير ، وعبد الملك بن مروان ، ويقال أن عثمان هو « أول من ظاهر لها بين كسوتين . »

وبالغ العباسيون في كسوة الكعبة ، وكانت من الحرير الأسود ، (شعارهم) ، وكانوا يصنعونها في مدينة « تنيس » في مصر . وظلت كساوى الكعبة توضع فوق بعضها البعض حتى كان عام ١٦٠ هـ ، عندما حج الخليفة العباسي المهدي ، فشكا اليه سدنة الكعبة ان كساوى الكعبة كثرت عليها ، والبناء ضعيف يخشى عليه من ثقلها ، فأمر بتجديدها وان لا يسدل عليها سوى كسوة واحدة ، واستمر ذلك الى يومنا هذا .

ما ذكره الفاكهي أن أول من كساها الديباج الأبيض هو المأمون بن الرشيد ، واستمر بعده . وفي أيام الفاطميين كسيت الكعبة بالديباج الأبيض ، ثم الأصفر ، ثم الأخضر ، ثم الأسود الذي استمر حتى الآن . وبقي الملوك والأمراء يتوالون على كسوتها حتى وقف عليها الملك الصالح اسماعيل بن الناصر ، في عام ٧٥٠ هـ ، ثلاث قرى من قرى القليوبية في مصر تدعى بيسوس ، وسنديس وأبي الغيط ، فصارت الكعبة تكسى من ريعها كل سنة والحجرة النبوية كل خمس سنوات . وكانت الكسوة تصنع في ورشة « الخرفيش » الذي يقال ان مؤسستها شجرة الدر .

وفي عهد العثمانيين اشترى السلطان سليمان ابن السلطان سليم خان سبع قرى أخرى بمصر أضافها الى وقف الملك الصالح . وبقيت هذه القرى موقوفة على الكعبة حتى حل وقفها محمد علي باشا في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة ، وتعهدت حكومة مصر بصنع الكسوة من مالها العام . وظل هذا دأبها مدة من الزمن على الرغم من وقوع الحرب العالمية الأولى واستيلاء الانكليز على مصر . وفي عام ١٣٤١ هـ وقع خلاف بين الشريف الحسين والحكومة المصرية ، فمنع الشريف دخول المحمل المصري الذي فيه الكسوة

والصدقات ، وأبرق الى المدينة المنورة طالبا الكسوة التي كانت قد صنعت في الآستانة احتياطا وحفظت فيها . فنقلت الكسوة من المدينة المنورة الى جدة عن طريق ثغر رابغ ووصلت قبل أن يحين موعد ابدال الكسوة وهو التاسع من ذي الحجة عام ١٣٤١ هـ . وقد أثارت السرعة التي حضرت الكسوة فيها ضجة عظيمة في العالم الاسلامي آنذاك . وأثناء توحيد جلالته المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود الحجاز ونجد تحت راية واحدة ، منعت الحكومة المصرية ارسال الكسوة كالمعتاد ، فكساها جلالته الملك عبد العزيز بكسوة (القيلان) التي كان الشريف الحسين قد صنعها في العراق احتياطا . وكذلك أمر جلالته في غرة شهر محرم عام ١٣٤٦ هـ بإنشاء دار خاصة لصنع الكسوة ، فتم انشاء المصنع ، واستيراد ١٢ تولا ، واستقدام حوالي ستين عاملا من النساجين والمطرزين والفنيين من الهند . فشرعوا بعمل دائب حتى استطاعوا في نهاية ذي القعدة من العام نفسه انجاز الكسوة الشريفة على أحسن ما يرام . وقد صنع قماش الكسوة من الحرير الخالص ، وكتب عليها بأصل الحياكة عبارة « لا إله الا الله محمد رسول الله » ، وفي أسفل التجويفة لفظ الجلالة مسبوقا بياء النداء « يا الله » ، وفي أعلى الضلعين الأيمن والأيسر « جل جلاله » . كما جعل للكسوة حزام عرضه متر واحد ، وكتب عليه مجموعة من الآيات الكريمة بالقصب الفضي المموه بالذهب . وكتب الخط آنذاك الخطاط الفني بوزارة المالية محمد أديب . وكتبت على ستارة الكعبة آيات كريمة على شكل دوائر ، وحليت بالنقوش ، فضاهت بجمالها الكسوة التي كانت ترد من مصر . وهكذا ارتدت الكعبة المشرفة أول كسوة صنعت في أم القرى على مر التاريخ .

وفي السنة التي تلت ذلك عين الحاج محمد خان مديرا للمصنع ، واشترطت عليه الحكومة تعليم جماعة من أبناء المملكة فن النسيج والتطريز ، وفي عام ١٣٥٢ هـ حل الشيخ أحمد سالم الجوهري مديرا للمصنع مكان الحاج محمد خان ، وحل العمال السعوديون مكان الهنود ، وحسبت الكسوة بأيد عربية سعودية . واستمر العمل بهذا المصنع دون انقطاع حتى عام ١٣٥٧ هـ ، ولكن نزولا عند رغبة مسلمي القاهرة ، توقف المصنع مدة من الزمن وأصبحت الكسوة ترد من القاهرة . وفي عام ١٣٨١ هـ عاد المصنع الى العمل ثانية ، وأسند أمر ادارته الى الشيخ محمد صالح سجيبي ، بينما عهد بادارته الفنية الى السيد عبد الرحيم



١ - تعد فتلات الخيوط وتلف بطريقة معينة تمهيدا لوضعها في الأنوال .

٢ - هذه الخيوط المشابكة ، التي تعد حسب أنموذج أساسي يصممه المدير الفني ، تجعل الكتابة تبدو في القماش أثناء النسيج .

٣ - السيد عبد الرحيم أمين ، المدير الفني للدار ، يخط الآيات الكريمة والزخارف بالطبشورة قبيل البدء بعملية التطريز .

٤ - وصلات الحزام الجاهزة بانتظار تثبيتها في صدر الكسوة .



في أصل الحياكة كما سبق ذكرها « لا إله إلا الله محمد رسول الله . الله جل جلاله » فأضيفت إليها حاليا عبارة « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . »

أما عن صنع الحزام ، وستارة باب الكعبة ، فبعد أن ينسج القماش بطريقة مماثلة لما سبق ذكره ، لكن دون أن يكون في القماش كتابة ، يقوم المدير الفني للمصنع بكتابة الآيات على القماش بالطبشورة ، ثم يقوم العمال الفنيون بتحديد الكتابة بخيوط صفراء رفيعة ، وتملأ الفراغات حسب حجم الكتابة ، طبقة من الخيوط القطنية ، ثم تغطي طبقة من الخيوط الفضية المموهة بالذهب حتى تخرج الكتابة في النهاية نافرة ظاهرة .

مواصفات الكسوة

تحتاج الكسوة في صنعها الى ٧٥٦ مترا من القماش ، أو الى ٥٤ درجا حسب ما هو متعارف عليه لدى الفنيين ، والدرج عبارة من قطعة قماش طولها ١٤ مترا وعرضها متر واحد . ويبلغ سمك القماش حوالي مليمترين أو أكثر ، يضاف اليه سمك البطانة التي يصنعها فنيو المصنع أيضا من القلع الأبيض المتين .

أما حزام الكعبة ، فيتكون من ١٦ قطعة يبلغ طولها جميعا حوالي ٦١ مترا . وعرضها ٩٤ سنتيمترا . ويوضع الحزام عادة على علو تسعة أمتار من الأرض . والآيات التي يحملها الحزام هي ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقوني يا أولي الألباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم . » وتظهر في جهة المحيط ، أي حجر اسماعيل عليه السلام .

وفي الجهة الجنوبية بين الركن اليماني والحجر الأسود تظهر الآيات التالية :

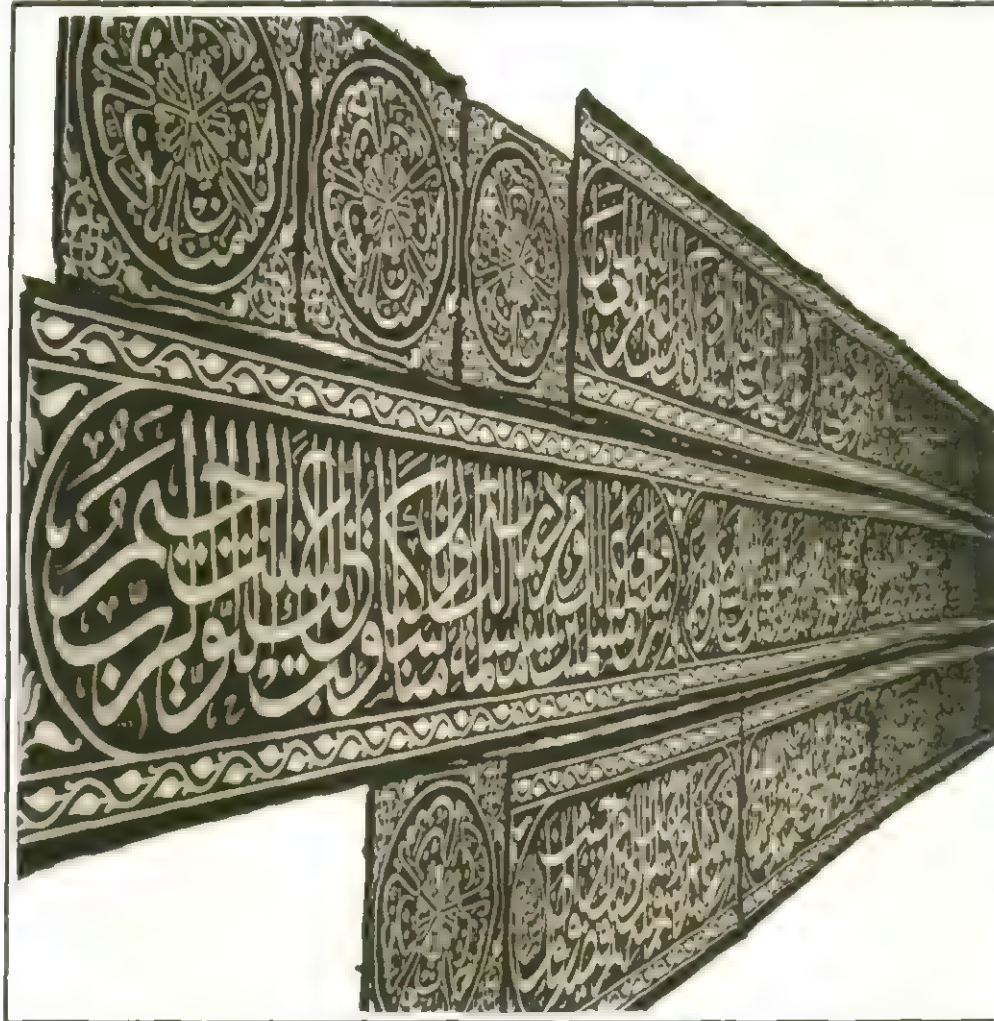
« بسم الله الرحمن الرحيم قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى

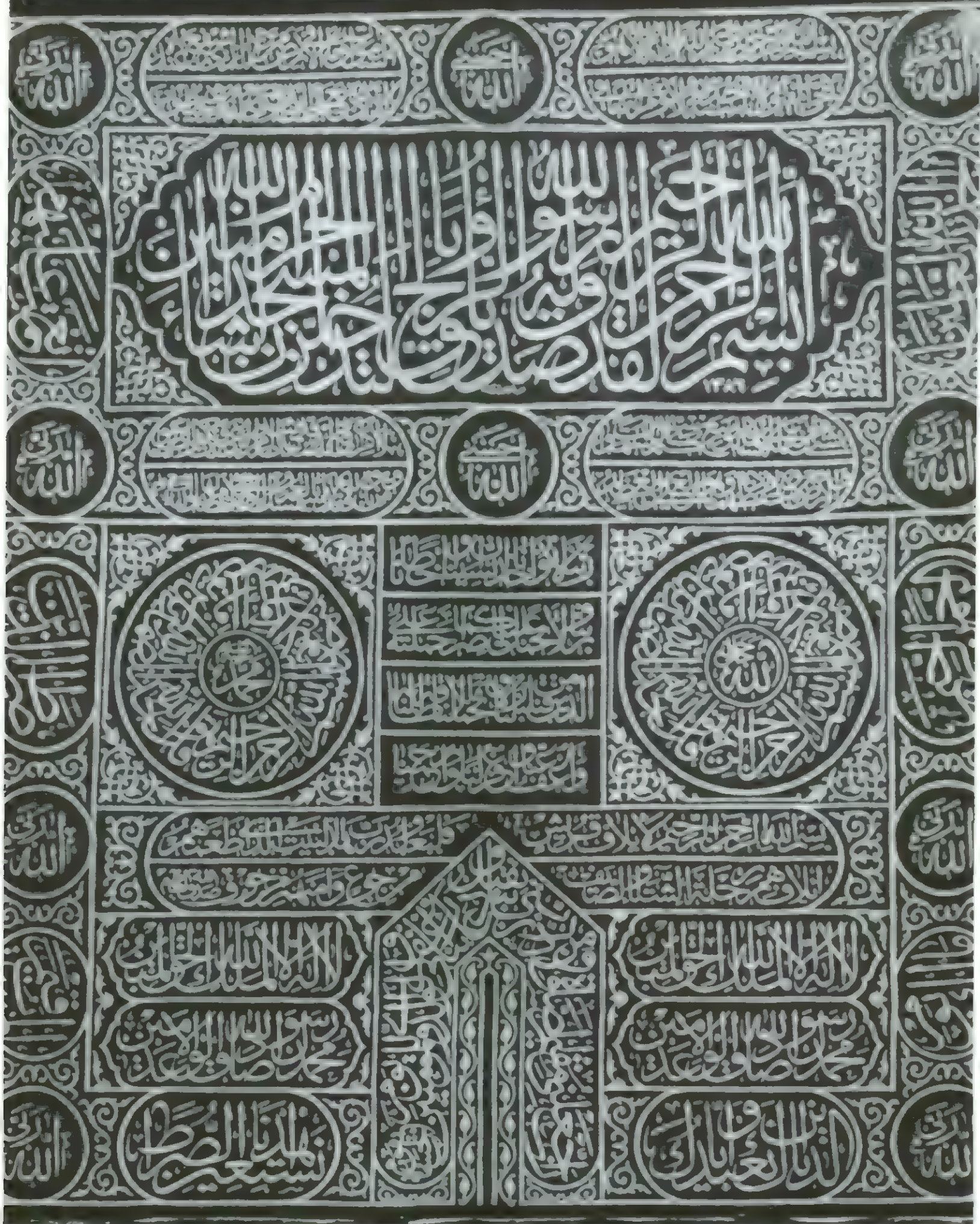
أرباع المتر فقط من قماش الكسوة في اليوم ، يقلد ولا شك مدى الجهد الذي يبذل في عملية الصنع . وتبدأ عملية الصنع بغسل شلل الحرير البيضاء مرات عديدة بالماء والصابون لإزالة الأوساخ والمواد الكيماوية التي تكون عليها . وبعد ذلك تصبغ بلون نيلي صباغة مبدئية ، ثم تصبغ باللون الأسود . وبعد أن تجف تلف لتستخدم في الأنوال . وعلى الأنوال ، تعد خيوط الفتلات البالغ عددها ٩٧٤ فتلة لتوضع في ثمانية أمشاط ، ثم تضم جميعها في مشط كبير واحد . وبعدئذ تعد الكتابة على حدة حسب نموذج أساسي يعده المدير الفني ، ثم توزع على الأنوال . والكتابة على الأنوال يحسبها الرائي خيوطا متشابكة غير أنها في الحقيقة يسهل فصلها خيطا تلو آخر ، فكلما يمرر الفني خيطا من خيوط النسيج عبر السداة ينزل الفني الجالس قبالة خيطا من خيوط الكتابة .. وهكذا دواليك . وقد كانت الكتابة

أمين الذي كان من أكثر السعوديين خبرة في هذا المجال ، فجمع السيد عبد الرحيم بعضا من رفاقه الأقدمين ، واختار نخبة أخرى من المواطنين الذين توسم فيهم المقدرة والذكاء واستأنف العمل ثانية . وبعد وفاة الشيخ محمد صالح سجين ، عهد بإدارة المصنع للأستاذ محمد سالم غلام ، بينما بقيت إدارته الفنية بعهد السيد عبد الرحيم أمين . وفضلا عن الاشراف يقوم السيد عبد الرحيم أمين بإعداد نموذج أساسي تجري بواسطته الكتابة على الأنوال ، وكتابة الآيات الكريمة على القماش الذي يصنع منه حزام الكسوة وستارة باب الكعبة المشرفة .

عملية الصنع

قد يظن القارئ أن صناعة الكسوة عملية سهلة ، ولكنه حينما يدرك أن النول الواحد الذي يعمل عليه اثنان من فنيي المصنع ينتج ثلاثة





للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين . »
وتظهر في الجهة الغربية بين الركن البعدي وحجر اسماعيل الآيات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم واذا بؤنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فسي الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . »

وتظهر في الجهة الشرقية ، أي وجهة باب الكعبة المشرفة الآيات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين العاكفين والركع السجود . واذا قال ابراهيم

رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأزنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . »

أما ستارة باب الكعبة فيبلغ طولها سبعة أمتار ونصف المتر وعرضها ثلاثة أمتار ونصف المتر . وتحمل الكثير من الآيات الكريمة المكتوبة على شكل دوائر ومستطيلات وغير ذلك من الأشكال الهندسية .

موظف الصنع

يعمل في دار صناعة كسوة الكعبة المشرفة ثمانون عاملا فنيا يشرف عليهم ويرشدهم مدير فني . وهؤلاء العمال موزعون على النحو التالي :
٤٥ موظفا في قسم النسيج ، يتقاسمون العمل

على الأنوال ونسج الكتانة وغير ذلك من الأعمال الفنية . و ٢٥ موظفا في قسم الحزام يقومون بأعمال التحشية والتطريز ، وستة موظفين في قسم لف الخيطان ، وأربعة موظفين في قسم الصباغ . والجدير بالذكر أن جميع فنيي دار صناعة كسوة الكعبة المشرفة يستطيعون القيام بأي عمل من أعمال الدار الفنية . فالذي يعمل على النول مثلا يمكنه التطريز والصباغ . وتوقيع الكتانة . وغير ذلك من الأعمال . هذا من الناحية الفنية . أما من الناحية الادارية فيشرف على الدار مدير اداري ، لديه خمسة موظفين هم عبارة عن محاسب . وأمين مستودع . وثلاثة كتبة .

ان وزارة الحج والأوقاف تولي هذه الدار عناية وعظفا كبيرين . ويتوقع في القريب العاجل أن تزودها بأنوال آلية تستطيع بواسطتها انتاج كمية كبيرة من حنايل الصلاة التي بدأت بانتاجها كمتجربة بدائية ، وذلك ليمسي باستطاعة هذه الدار فرش جميع مساجد مكة المكرمة بالحنايل الجيدة الصنع .

عطاء العباد

عقب مرحلة نسج القماش ، تجمع وصلاته وتخط منها الكسوة . ثم يوشى أعلاها بالحزام الذهبي المجمل بالآيات القرآنية الكريمة .



تصوير : عبد اللطيف يوسف

الترح المذفونة والمصادر الحية

بقلم الأستاذ انور الجندي

أما بالنسبة لي فاني أعمل في هذا الحقل منذ خمسة عشر عاما وأرجو أن أستمّر .

ولكن هل تكفي الأضابير والدوريات ؟ لا أظن ذلك ، فلا بد من البحث عن « المراجع الحية » ، وهذه المراجع هي الأفراد الذين عاشوا الأحداث أو شهدوا من عاشوها .

منذ التقيت بالشيخ عبد القادر المغربي قبل وفاته بسنوات ، أحسست أن وجودي قد امتد حتى شهد « جمال الدين الافغاني » ومعاصريه . فقد كان « المغربي » آخر هذا الجيل الذي رآه يحمل ذكرياته قبل أن يعبر الى الشاطئ الآخر عام ١٨٩٧ . ومن هذا الجيل لطفي السيد ، وسعد زغلول ، ومحمد عبده ، وشكيب أرسلان ، ولكل من هؤلاء ذكريات عنه ، وعن لقاءات معه في القاهرة واستانبول . وقد كنت حفيّا بأن أجد رجلا عايش جمال الدين واستمع اليه ، وحققت هذه الرغبة بلقائي للشيخ عبد القادر المغربي في ندوة الأستاذ محمد علي الطاهر ، الحافلة بأعلام الشرق والغرب عام ١٩٥٢ ، والتي كان يردها كل مجاهد ، أو كاتب من العالم العربي . وقد تعرفت فيها بالكثيرين ، ومن هؤلاء رجل ترسم حياته تاريخ جيل كامل في الجزائر هو « البشير الابراهيمي » . العلامة الذي شارك « عبد الحميد ابن باديس » حركة الاصلاح والتعليم في الجزائر ، في الثلاثينات من هذا القرن .

ولقد التقيت بالبشير مرات ، وكان يقيم مع تلميذه « الفضيل الورتلاني » ، وسمعتة وهو ينشد عشرات من أبيات قصيدته المطولة التي سجل بها أحداث التاريخ والجهاد . بل لقد أتبع لي أن ألقاه ساعة أعلن استقلال الجزائر ، وكانت كل ملامح وجهه تشع بالسعادة والفرح ، فقد عاش الشيخ طويلا مهاجرا ، يطوف العالم العربي والاسلامي داعيا لوطنه ، وهو الذي بنى مع « باديس » أكثر من ثلاثمائة مدرسة في المساجد لتعليم اللغة العربية ، التي كانت على وشك أن تتبدد .

وبعد أن توفي فريد وجدي ، ولطفي السيد ، وعبد القادر المغربي ، لا أعتقد أن رجلا من أعلام المعمرين شهد مطالع القرن يعيش الآن ، سوى الدكتور « غلوش » ، مدّة الله حياته . ففي عام ١٩٠٥ كان قد عاد من أوروبا بعد أن أتم تعليمه ، ولعله من القلة الذين شهدوا « كرومر » وتحذثوا اليه . ولعل واحدا من هؤلاء المعمرين الاعلام في الشام ما زال حيا شهد عهد السلطان عبد الحميد ، وكان موظفا في القصر « الهمايوني » قبل سنة ١٩٠٨ ، هو « احسان الجابري » ، وقد التقيت به منذ سنوات ، وحديثي حديثا مستفيضا عن هذه الفترة وأحداثها . أما خليل ثابت فقد التقيت به وهو في التسعين من عمره ، متألّق العقل وافر الحيوية ، قادرا على ايراد الأحداث في نصاعة كأنما قد حدثت بالأمس ، وقد أفادت كثيرا لما شاهد ، كأنما أعيش هذه الأحداث .

في مجال الدراسات الأدبية يقوم عاملان مهمان بتكوين حصيلة المادة التي تحقق بناء عمل كبير يمكن أن يوصف بأنه موسوعة أو دائرة معارف للأدب العربي المعاصر . هذان العاملان هما « المراجع المذفونة » ، والمصادر الحية » .

أما المراجع المذفونة فهي الدوريات القديمة التي علاها التراب ، والتي قضى على أوائلها اليوم حوالي مائة عام . ففي مثل هذه الأعوام من القرن الماضي كانت البلاد العربية تزخر بصحافة متطلعة الى الكمال في مجال الأسلوب والمضمون ، تحاول أن تتحرر من قيود السجع وقيود الكلمة . وفي فترة السبعينات من القرن الماضي يمكن أن يقال أن اليقظة قد بدأت وانبعثت في ظل ارهاصات مختلفة ، ودعوات اصلاح وتجديد متعددة في مختلف المجالات ، وكانت الصحافة هي « نافذة اليقظة » . وقد ظهرت صحف يومية ومجلات أسبوعية وشهرية ، في مختلف الفنون : علمية ، وأدبية ، وصحف للمرأة ، وصحف للعلوم ، وصحف للفكاهة ، وصحف لعشرات الأغراض . وبدأت الكلمة المطبوعة لها دوي ، وجرت رحلات كتاب الشام الى مصر ، ومهاجري لبنان الى العالم الجديد . لتكون في أوائل القرن مدرسة المهجر ، وإن لم يطل بكثير من هذه الصحف والمجلات عهد ، ولم يتحقق لها الاستمرار ، ولكنها تركت آثارا وبصمات أبقت نفوسا وأحييت مفاهيم وروى جديدة ناهضة .

هذه الصحف هي ما نسميه اليوم بـ « الدوريات » ، وما نحاول أن نستخرجها من معاقليها ونبحث فيها ، ونستخرج منها اتجاه الكلمة ، ومفهوم عشرات من قضايا الأدب والاجتماع . ان بعض هذه الكلمات التي نشرت قد أعيد طبعها في مؤلفات وكتب ما تزال مرجعا للباحثين . ولعل هناك حقيقة لا مبالغة فيها ، هي أن أغلب المؤلفات التي تعتبر علامات على طريق الفكر العربي اليوم ، قد نشرت فصولا وكلمات في الصحف والمجلات ، غير أن الحقيقة الخطيرة هي أن هناك مئات الكلمات وعشرات الاسماء والموضوعات والباحثين طواهم النسيان ، واختفى ذكرهم في هذه المراجع المذفونة ، وربما فاق بعضهم في موضوعه ، وفي بيانه الكثيرين ممن لمعوا وبرزوا . ومن هنا كان حقا علينا أن نبحث عنهم وأن نستخرجهم .

وما تزال هذه المراجع القديمة ، وهذه الدوريات المذفونة حافلة بالكثير ، وما تزال قادرة على أن تمد الباحث في كل فن من فنون البحث بالعلاقات الأولى والخطوط الباكورة في مجال البحث ، ما استطاع الباحث مصابرة عشرات هذه الصحف في مجلداتها التي تبلغ المئات . وفي هذه المراجع يجد القارئ كثيرا من الفث وقليل من المنافع ، فاذا أمكن استخراج هذه العصارات النافعة أمكن أن تؤدي أهمية كبرى في استكمال صورة العصر وملاحم المجتمع .

ويمكن أن نضيف إلى هذين الرجلين في هذا الميدان رجلا ثالثا. لم تكن له صلة بالمقتطف ، هو الشيخ «محمود أبو ريه» ، الذي يكتب في الصحف ويجمع قصاصاتها منذ عام ١٩١٠ . فقد قرأت له أسئلة موجهة إلى الشيخ جاويش في مجلة «الهداية» . وتحوي مكتبته قصاصات الأدب والتاريخ خلال خمسين عاما. وما أذكر أنني سألته في أمر إلا وجدت لديه منه خبر . وقصاصة . وسند مكتوب .

ولأحمد تيمور في دار الكتب بباب الخلق بالقاهرة (كناشة) ضخمة ، تضم أكثر من أربعمائة صفحة بحجم الصحف اليومية عبارة عن قصاصات صغيرة عن أحداث وأسماء ووفيات خلال حياته الطويلة حتى عام ١٩٣٠ .

وفي مجال المكتبات ما تزال مكتبة العقاد أضخم مكتبة في عصرنا . ولكن مكتبة الدكتور صبري السربوني شيء عظيم . فقد وجدت حواشي بيته مليئة كلها ومغطاة بمجلدات من الكتب ، وما زال — أطال الله عمره — مكيًا منذ ثلاث سنوات على بحث عن الحضارة العربية في إفريقيا . واني لأحس بالهزة والأسى حين أرى أمثال المكتبات الخاصة لزكي مبارك وفريد وجدي وعبد العزيز جاويش وزكي باشا قد تبددت وذهبت .

«علي أدهم» اليوم أكبر قارئ ومستوعب وناقذ في مصر بعد وفاة العقاد ، وما تزال مكتبته الحافلة تحوي أحدث الدراسات التاريخية والأدبية والفكرية من أنحاء العالم . وهو قارئ رصين ، وباحث أصيل ، ما تزال دراساته ممتدة في مراجعات الأدب والفكر والفن ، منذ قرأت له عام ١٩٢٢ في جريدة الدستور التي كان يصدرها «فريد وجدي» .

وما يزال «علي الجندي» الشاعر ، بقية الرواة والحفاظ للشعر العربي القديم ، وشيخ الشعراء الغزليين في عصرنا. وقد استوعب الأغاني والمحاضرات وعشرات من الدواوين وموسوعات البلاغة العربية ، حتى أصبح «ثعالبى» العصر . وهو بقية جبل انقضى كان من أبرز رجاله «كامل كيلاني» الذي كان يدهش الناس باستشهاده — في كل مجال — بالشعر العربي القديم ، وكان يحفظ أكثر من خمسة آلاف بيت أغلبها لأبي العلاء المغربي .

ولقد توسعت آفاق البحث عندي فلم تقتصر على مصر وحدها ، بل التقيت بعشرات من العالم العربي ، أفدت منهم ، في مقدمتهم الدكتور زكي المحاسني ، وزوجه الكاتبة النابغة السيدة وداد سكاكيني ، وكانت القاهرة لهم وطنا ثانيا . وهلال ناجي ، الشاعر الدبلوماسي ، فهو مرجع خصب للمؤلفات والمقالات والمراجع . وفي المغرب عرفت الكثيرين ، في مقدمتهم العلامة عبد الله كنون ، والصحفي اللامع عبد الكريم غلاب ، والسيد إبراهيم الكتاني . وأبو القاسم كرو ، في تونس . والمصرياتي ، في ليبيا . ومحمد علي دبوز ، في الجزائر . وأفدت من صحبة هؤلاء كثيرا ، واستطعت عن طريقهم أن أدرس حركات الأدب والفكر والصحافة في المغرب العربي . ومن السودان كان الباحث الأديب عز الدين الأمين مصدرا مهما للحركة الأدبية . أما في فلسطين والأردن فقد عرفت العلامة عبد الله التل ، وهارون هاشم رشيد . وفي بيروت الدكتور عمر فروخ ، ويوسف أسعد داغر ، وفي العراق العلامة الشيخ بهجت الانزي . وفي الشام الأمير مصطفى الشهابي . وفي المملكة العربية السعودية تتبعت آثار العلامة حمد

ومند أن توفي أحمد زكي ، ومن قبله أحمد تيمور . وهما من عرفهما الناس فرسي رهان في شراء الكتب ، وقد جمع أولهما ١٨ ألفا ، وجمع ثانيهما ١٢ ألفا ، لم نعد نرى بعد من هو في مثل طموحهما إلى جمع الكتب . وقد كان أحمد زكي يتميز بقصاصاته وجذباته ، وما تزال هذه مخزنة . منذ مات عام ١٩٣٤ حتى اليوم ، في حجرة مظلمة في عيادة طبيب لا ينتفع بها أحد ، ويمكن أن تكون موسوعة ضخمة في عشرة مجلدات. ولم نشهد من قبل ذلك غير محمد مسعود الذي كان ينافس زكي باشا في اعدام أطراف القصاصات والجذاذات والوثائق ، وكانت له مكتبة رائعة من هذا النوع أولى الاهتمام فيها للجغرافيا والاندلس بالذات ، وكان له موظف يحصل على مرتب شهري ليرعاها ويعمل فيها . وقد أفادت هذه وتلك عشرات الباحثين ، لدرجة ان جاء بشر فارس من باريس ليعد رسالته في القاهرة على قصاصات زكي باشا . كما أفاد تيمور باشا عشرات الباحثين في مصر والشرق ، وكان له مراسلات في بغداد مع الأب انتناس الكرومي ، وأعلام اللغة في دمشق من أمثال كرد علي ، ومصطفى الشهابي ، وغيرهما . وقد أهملت قصاصات محمد مسعود بعد موته ، منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، وربما تبددت وضاعت .

وكان يمكن أن تعد من هذه الجذاذات موسوعة كالموسوعات التي يعيش عليها الأدباء اليوم ، مثل كتاب «الاعلام» لخير الدين الزركلي بعد أن وسعته فأصبح عشرة مجلدات ، و«أعلام المؤلفين» للعلامة نور الدين كحالة من دمشق في ١٤ جزءا ، و«مصادر الدراسة الأدبية» ليوسف أسعد داغر ، و«معجم المؤلفين» لسركيس . وقدم فيليب دي طرازي مرجعا في الصحافة العربية في العالم العربي كله على قدر استطاعته اذ ذاك ، وقدم محمود اسماعيل دليلا في الدوريات في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

كان المقتطف مرجعا ضخما للمؤلفات التي صدرت خلال خلال فترة صدوره (١٨٨٥ — ١٩٥٢) . ونحتاج هذه المراجعة إلى بحث مستقل . وقد عني الدكتور صروف ، بنقد الكتب الجديدة . وكانت للنقد واستعراض الكتب مدرسة بارزة شهدتها في الأعوام الأخيرة للمقتطف ، من روادها وديع فلسطين ، ومحمد عبد الغني حسن ، وحسن كامل الصيرفي ، ومصطفى السحرتي ، وما يزال هؤلاء حتى اليوم هم عمالقة النقد والبحث والتعليق على المؤلفات . فالاستاذ عبد الغني حسن ما زال المرجع الأول في القاهرة للكتاب العربي من كل مكان ، ليس في نقده فحسب ، بل وفي تقويمه ، فما أن تسأله عن مراجع أي بحث في الأدب والصحافة أو الترجمة والتراث ، حتى تحصل على معلومات كاملة عنه ، طبعت الكتاب والزيادات التي أضيفت إليه ، وما استقطع منه ، وما حذف وما استدرك . ويشاركه الأستاذ وديع فلسطين في هذه القدرة ، فهو واسع المعرفة بأدباء العالم العربي في كل مكان ، وهو مرجع لتفلاتهم وآثارهم وحيواتهم وشخصياتهم ، له مراسلات واسعة مع أغلبهم ، لا ينقطع عنه سيل المؤلفات . وأنت ما تكاد تعرفه حتى تجده متفضلا يرسل لك كل ما ينشر عنك في الصحف العربية ، وتصلك بين حين وآخر قصاصات في ظرف مغلق تمثل كل ما يمكن أن يهكم من مقالات نشرت عنك ، أو أخبار تتصل ببحثك ، في متابعة لا حد لها لذلك السيل المتدفق من الأبحاث والدراسات .



الجزع أنعب من الصبر

يروى عن بعض الحكماء وقد رأى رجلاً أصيب بمصيبة عظمت عليه أنه قال : الجزع أنعب من الصبر . ففي الجزع التعب والوزر ، وفي الصبر الراحة والأجر . ولو صور الجزع والصبر لكان الصبر أحسن صورة . وأكرم طبيعة . وكان الجزع أقبح صورة . وأخبث طبيعة . ولكن الصبر أولاهما بالغلبة لحسن الخلقة وكرم السجية . انسى رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر . **وقل من جد في شيء يؤمله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر**

الكرم

الكرم هو بذل المال بغير اسراف . والتصرف الحسن بغير اتلاف ، وهو أشرف وصف يترين به الانسان . وأجمل أثر يكسب صاحبه الثناء مدى الأزمان . وقد حث على التحلي به أولو النفوس العلية ، وحض على التحلق به دؤو لأحلاق المرضية . فقد قيل : دلوا أحلاقكم للمطالب ، وعودوها على المحامد . وعلموها المكارم ، وتحلوا بالجوود . يلبسكم ثوب المحبة . فمن جاد ساد . ومن ساد شاد . وخير المال ما أفاد حمداً . ونفى ذماً . وصان عرضاً . وأدّى فرضاً .

الصدق

الصدق هو أن تنبئ عن الشيء على ما هو عليه . وهو وصف يدعو اليه الدين والعقل والمروءة وجب الثناء . والاشتهار بالفضائل . فلا مزية أجمل منه . ولا سجية أكمل منه . ولا عطية أشرف منه . ولا سمعة ألطف منه . ولا أثر أنفع منه . والكذب من أقبح الرذائل . وأسوأ الوسائل . صفة لووم وشووم . بل عادة دنينة رديئة . تؤوب بالعار والشار وأهلاك . فمن الكذب ريبة . والصدق طمأنينة .

آداب المجالس

إذا جلست فاقبل على جاساتك بالبشر والطلاقة . وليكن مجلسك هادئاً ، وحديثك مرتباً . والتزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب . فمن حسنت آداب مجالسته . ثبتت في الأئفدة مودته . وحسنت عشرته . وكملت مروءته .

الجاسر ، عضو المجمع اللغوي ، والمؤرخ عبد القدوس الانصاري ، وأمير الكتب الشيخ محمد نصيف ، والأديب عبد الله ادريس ، وغير هؤلاء عشرات لا أحصيه .

وما تزال مكتبة السيد محب الدين الخطيب وشخصيته من أبرز المصادر الحية في مجال الثقافة العربية الاسلامية ، فهو قطعة من التاريخ العربي الحي ، في دار « الفتح » بالفسطاط ، حيث المطبعة السلفية منذ أربعين عاماً ، ومكتبته شيء مهول ، ليس من ناحية العدد وحده . ولكن من ناحية الفنون والكتب النادرة . ولا ننسى هنا مكتبة عزيز خانكي الضخمة ، وكان ابنه جميل خانكي يصدر بين حين وحين كتاباً أيقاً يطبعه . ويوزعه مجاناً على من يطلبه . وهنا ساطع الحصري ولديه (سحاحير) مليئة بالكتب . يجمعها منذ أوائل القرن . وللعلامة « سليم حسن » مكتبة رائعة في الاثريات . وقد أصدر بضعة عشر مجلداً من كتابه « تاريخ مصر القديمة » .

في مجال الشعر ما يزال أحمد رامي رمزاً على الجيل الذي برز بعد العشرينات . واتجه الى الفن . وهناك « يونس القاضي » هو بقية هذه المدرسة من كتاب الزجل والمسرح . التي كان يتزعمها بديع خيري . ويرم التونسي . وهناك نوع آخر انقرض بوقاة « محمد مصطفى حمام » . الذي عرف بشعراء المشهورات . وكان من أعلامه حسين شفيق المصري .

وما يزال الدكتور طه حسين . والدكتور صبري ، والأستاذ الزيات من أكبر أدياء العصر سناً . فكل منهم اليوم فوق الخامسة والسبعين . وقد استطاع الدكتور صبري بجلده يحسد عليه أن يجمع لشوقي أربعة آلاف بيت من الشعر كانت مطوية في الصحف القديمة . أخرجها وجمعها في مجلدين كبيرين .

وفي مجال المخطوطات وتحقيقها ما يزال الثالث الممثل في أبي الفضل ابراهيم . وابراهيم الابياري . وعبد السلام هارون يعمل في نشاط وقوة وحيوية . أما في الأزهر فما زال الرجلان النابهان عبد الجليل عيسى . وعبد اللطيف دراز يعملان - وهما فوق الثمانين - الأول يفسر القرآن . والثاني تجده في دار الشبان المسلمين دوماً . يتحدث عن قضايا العالم الاسلامي التي عاصرها منذ الثلاثينات وشارك فيها واستقبل أغلب زعمائها في العالم العربي الاسلامي وتحدث معهم . ولديه من هذا التراث ثروة عظيمة .

وفي ندوات القاهرة تمت لقاءات نافعة للدراسات الأدبية . في ندوات أحمد حسين المحامي . وكامل كيلاني . والعقاد . وجميلة العلايلي . وجاذبية صدقي . ورابطة الأدب الحديث . ونادي القصة . وما زلت أذكر انني التقيت في ندوة جاذبية صدقي بالدكتور هيكل قبل وفاته بقليل . وذاكرته في آثاره القديمة وانتفعت كثيراً بتفهم اتجاهاته الفكرية في دفاعه عن الاسلام والروحية . واعتباره هذا مصدراً للبعث في الشرق . وكانت لي مع الدكتور زكي مبارك صداقة وطيدة . كان هو صاحب الفضل فيها .

ومن خلال جلسات طويلة مع كامل كيلاني . ومحمد صبري . وخليل ثابت . وطه حسين . والعقاد . وهيكل . والشيخ دراز . والشيخ عبد الجليل عيسى امتد وجودي الفكري بالزمن الطويل . كأنما عشت ما عاشوا . وأفدت من تجارب وأحداث حيات هؤلاء الادباء والاعلام .



للشاعر الدكتور عارف قبانة

بل في ظلام الليل نجان
المعطار في أعماق وجداني
طاب السرى في عالم ثاني
بل لوحة من وحي فنان
تمتد راحتها لربان
لبعيد أحلامي جناحان
فوق الموم أجرّ نسياني
من كوتر الفردوس نبعان
وأظل في غصات ظمآن
في ضفتك ، وأي تحنان ؟
ما فيك من در ومرجان

عيناك .. ما هاتان عينان
بل غابة أرخت غدائرها
وسفينتان على شراعهما
عيناك .. ما هاتان عينان
وجزيرة في البحر ضاحكة
عيناك والأهداب مبللة
بهما أطير وفي ظلالهما
عينان ، ما أنصفت ! انهما
أسقى رحيقا من كوسهما
يا جدول الأجفان أي هوى
ما في بحار الأرض أجمعها

حاور الأدباء والنقاد قديما وحديثا أن يعرفوا لنا الخيال تعريفا جامعا - على حد تعبير المناطق - بيد أن محاولتهم انتهت إلى اعترافهم بأن تعريف الخيال عسير ، مصداقا لقول « رسكن » : « أن حقيقة الخيال غامضة صعبة التفسير ، وينبغي أن يفهم في آثاره فحسب » . ورغبة منهم في تقريب معنى الخيال قسموه إلى ثلاثة أقسام : خيال ابتكاري ، وخال تألفي ، وخال بياني أو تفسيري . فالخيال الابتكاري يعنون به ذلك الخيال المبدع الذي يخلق من العناصر الأولى صورة جديدة للشيء المتخيل . والخيال التألفي هو الذي يولف بين أجزاء الصورة أو الصور الحسية تأليفا يكشف عن أثرها في نفس الأديب أو الشاعر ويبلغ بهذا الأثر موضعه الملائم من نفس القارئ أو السامع . وأما الخيال البياني أو التفسيري فهو الذي يفسر به الشاعر أو الأديب ما يدور في نفسه أو يقع تحت حسنة تفسيراً ينفخ فيه من روحه وينفض عليه من مشاعره ، فإذا هو صورة حية رائعة .

وهذا الخيال البياني هو الخيال الغالب على أدبنا العربي الذي يرميه بعض النقاد ، ومنهم الدكتور أحمد أمين في كتابه « النقد الأدبي » ، بضعف الخيال لقلة ما فيه من قصص وأساطير . وفي الدفاع عن خيال الأدب العربي وروعه يقول الدكتور طه حسين في كتابه « من حديث الشعر والنثر » ما نصه : « خصوص القديم وأنصار الحديث يزعمون أن الأدب العربي كان حسنا في عصره ، وأصبح الآن غير ملائم ، ذلك لأن هناك فنونا من الأدب لم يعرفها الأدب العربي . فالشعر العربي فقير بالنسبة إلى الشعر الأجنبى . فليس فيه شعر قصصي ولا تمثيلي كما كان عند اليونان . واذن فلا بد من العدول عن هذا الأدب القديم إلى الأدب الحديث .. وهذا غريب . فلست واثقا كل الثقة من أن الأدب العربي يخلو من القصص ، وأخشى أن من يجحدون

وجود الأدب القصصي عند العرب ، إنما يجحدونه لأنهم لم يحققوا بالضبط معنى الأدب القصصي ، فالذين يقرؤون الشعر الجاهلي أو ما صح منه ، والذين يقرؤون الشعر الأموي كشعر جرير والفرزدق والأخطل يلاحظون أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر موجودة في الشعر العربي . فإذا لم توجد عندنا « السيادة » أو « أوديسا » ، فليس من شك أن ما أدته الألياذة والأوديسا قد أداه لنا الشعر القديم من تصوير الحياة الاجتماعية وتصوير حياة الأبطال . ثم من الذي يستطيع أن ينكر أن في أدبنا العربي القصصي جمالا ليس أقل من جمال الألياذة والأوديسا ؟ وليس ذنب الأدب العربي إلا يقرأه الناس ولا يعرفوه . أي الأدباء عني بقصص أبي زيد وعنترة وما إليه من الأفايص الكثيرة التي تعنى بها العامة ؟ أيتكم يدرسه مضطر إلى أن يعترف أن للأدب العربي من هذا الجمال الفني الرائع ما لا يقل عن الألياذة والأوديسا . »

س دفع طه حسين تهمة ضعف الخيال عن أدبنا العربي القديم لخلوه من الملاحم والمسرحيات واقتصاره على الفن الغنائي ، دافع الأستاذ العقاد عن هذا الأدب فخورا بأن « فيه آيات قليلة النظائر بين الماثور عن أعظم الشعراء الغربيين المتقدمين أو المتأخرين ، ولا سيما المنظوم منه في باب التشبيه والمثل السائر وجوامع الكلم من صميم الحياة . وقد تمثل بعض النقاد الغربيين بما يعدونه من « معجزات » التشبيه في وصف « دانتى » لمناظر الفردوس والجحيم ، وانك لتقارن بين هذه المعجزات وبين التشبيهات المطروقة أحيانا في وصف ابن الرومي أو البحتري أو امرئ القيس مثلا ، فلا ترتفع بها إلى مرتقى أرفع من تمرينات الأطفال ! »

على أن الأخيلة الشعرية في الأدب اليوناني وغيره من الآداب الأجنبية قد تكون أكثر وأطول من الأخيلة الشعرية في أدبنا العربي ، ولكن هذه الأخيلة في أدبنا العربي أعظم وأعرض

وأروع وأقدم . فقبل أن يحدثنا غوته في مسرحية « فاصت » عن ميسس حاجة العالم - أيا كان علمه - إلى الاستزادة من العلم « وكأنه تلميذ مبتدئ » قال أبو العلاء المعري في لزومياته :

وعالمنا المنتهي كالصبي

قبل له في ابتداء : تهج
وقبل أن يعبر « شكسبير » و « لامرتين » عن تخيلهما للشعر في أدبهما ، وقبل أن يتخيله « شللي » (هائما وحده من غير رفيق) ، قبل هؤلاء جميعا تخيل شعراؤنا العرب القدامى القمر في مختلف أحواله ، ووصلوا بينه وبين الحبيبة بمثل قول المتنبي :

واستقبلت قمر السماء بوجهها

فأرتني القمرين في وقت معا
كما وصلوا بينه وبين تواضع العظاماء بمثل قول البحتري :

دان إلى أبدي العفاة وشاسع

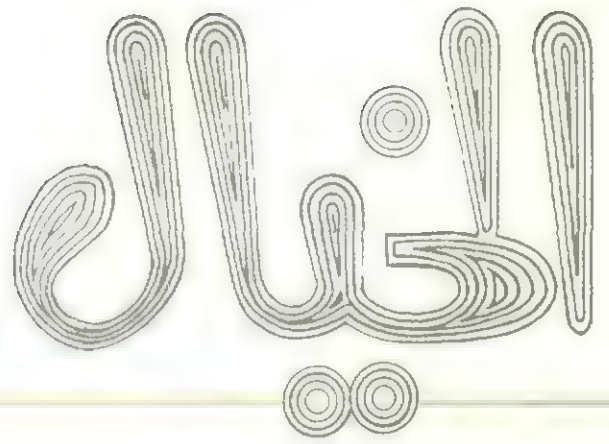
عن كل ند في الندى وضرب
كالبدل أفرط في العلو وضوؤه
للعبسة السارين جسد قريب واعتبروه مثلا أعلى في عموم الفضل وشمول النفع بقول أبي الطيب مادحا :

كالبدل من حيث التفت رأته

يهدى إلى عينك نورا ثاقبا
يروقني هنا قول الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » : أن الشاعر الفرنسي « فيكتور هيجو » قد وصف الهلال بأنه « منجل ذهب » ، فأعجب به الفرنسيون أيما إعجاب ، ومن قبله بمئات السنين شبه ابن المعتز الهلال بـ « منجل فضة » ثم لم يقف عند هذه الصورة العامة مكتفيا بها - كما صنع هيجو - وإنما أضاف إليها تشبيها أن السماء حقل من نرجس لا من نجوم ، وأن هذا المنجل الفضي يحصد نرجسها بأصوائه وأنواره ...

أنظر إلى حسن هلال بدا

يهتك من أنواره الخندسا



في الأدب العربي القديم

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى
والا فقد عشنا بها زما رغدا
وقبل أن يعبر الشاعران الفرنسيان « راسين »
و « ألفرد دي موسيه » عن خوالج النفس ولواعج
الغرام ، عبر عن ذلك أجمل تعبير شاعرنا الأموي
عمر بن أبي ربيعة بقصيدته الدالية المشهورة
التي منها :
ليت هذا أنجزنا ما تعد
وشفت أنفسنا ما نجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد
أن يجسم الفيلسوف الألماني « نيتشه »
فلسفته في فكرة « الاستعلاء » . فكرة
« السوبرمان » أي الانسان المثالي أو المتفوق ،
عبر المتنبي وأبو فراس الحمداني عن هذه
الفكرة أقوى تعبير شعري بقول المتنبي :
واني لمن قوم كان نفوسهم
بها أنتف أن تسكن اللحم والعظما
وقول أبو فراس الحمداني :
وانا لقوم لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر
وقبل أن تعرف أوروبا فن « الكاريكاتور »
في أدبها وصحافتها عرفه أدبنا العربي نثرا في
تفنن أبي عثمان الجاحظ في السخرية من
« البخلاء » ، والتهكم اللاذع في « رسالة الترييع
والتدوير » .
وهكذا نرى أن الأدب العربي قد تضمن
الكثير من الأمثلة التي تنم عن القدرة التخيلية الفائقة
والعبرة بالكيف قبل الكم ، والعرض قبل الطول .
وحسب شعرنا العربي فخرا واعتزازا انه اجتاز
بأخيلته الوثابة مئات الأعوام حيث عبر عن
كثير من أحداث المعاني وأسماها مما لم يعبر عنه
الشعر الأجنبي الا منذ عهد قريب ، وشتان
بين تعبير وتعبير ، وبين خيال وخيال .

فما ازداد الا جرأة وصرامة
وأبقت أن الأمر منه هو الجدد
فأتبعنها أخرى فأضللت نصلها
بحيث يكون اللب والرب والحقد
وقبل أن يلهج علماء أوربا وأدباؤها بما
يدعونه « مركب النقص » و « مركب
العظمة » ، عبر أدبنا العربي عن « مركب
العظمة » بقول أبي تمام من رثائه لمحمد ابن
حميد الطوسي :
ففي كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن كبرا أن يقال : به كبر
كما عبر أدبنا العربي نثرا وشعرا عن « عقدة
النقص » بقول أبي العلاء المعري :
لو لم تكن في القوم أصغرهم
لبان منك عليهم الكبير
رواه ابن عبد ربه في الجزء الأول
من « العقد الفريد » قائلا : « وقف
الأحنف بن الأشعث بباب معاوية ، فأذن
للأحنف ثم أذن لابن الأشعث ، ولكن ابن
الأشعث أسرع في مشيته حتى تقدم الأحنف
المأذون له في الدخول قبله . فلما رآه معاوية
غمه ذلك وأحنفه ، فالتفت اليه قائلا كلمته
الواعية الرائدة الملهمة : « والله اني ما أذنت له
قبلك ، وأنا أريد أن تدخل قبله . وأنا كما نلي
أمورك نلي آدابكم ، ولا يزيد متردد في
خطوه الا لنقص يجده في نفسه ! »
وقبل أن تعرف أوروبا الطواحين التي تديرها
التيارات المائية الجبارة ، تخيل شاعرنا العربي
العريق الوأواء الدمشقي مدامعه الغزيرة التي تستطيع
بجبروتها ادارة الرحى ، فقال بيته الرائع الذي
تراه في الجزء الأول من « معاهد التنصيص » :
ولو نصبت رحى بازاء دمعي
لكانت من تعدره تدور
وقبل أن يلهج علماء النفس المحدثون بما
يدعونه « أحلام اليقظة » ، عبر شاعرنا القديم
أجمل تعبير عن هذه الأحلام ببيتته المشهور :

كنجل قد صيغ من فضة
يحصد من زهر الدجي نرجسا
وكلنا نذكر البيت الآخر المشهور لابن المعتز
في وصف الهلال أيضا :
أنظر اليه كزورق من فضة
قد ألقته حمولة من عنبر
وهذا الهلال الذي شبهه ابن المعتز مرة بمنجل
الفضة ومرة أخرى بزورق فضة ، شبهه مرة
ثالثة بالقلامة التي قدت من الظفر قائلا من
أبياته الرائعة التي وصف بها لقاءه بحبيبه في
دير عبدون :
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا
مثل القلامة قد قدت من الظفر
أن يقص علينا الشاعر الفرنسي « ألفرد
دي فيني » (Alfred de Vigny)
ما دار بينه وبين الذئب الذي استعان على قتله
بأربعة من أصحابه الأشداء المسلحين ، ومعهم أحد
الكلاب الضارية ، قص علينا شعراونا الثلاثة
القدامى الفرزدق في العصر الأموي ، والبحترى
والشريف الرضي في العصر العباسي ، ما دار
بين كل منهم وبين الذئب الصحراوي الضاري ،
بأساليب خيالية رائعة شهد النقاد المنصفون لها
بعضة رصيدها من الحركة والقوة والحياة ، وحسبنا
منها هنا قول الفرزدق يجمع بين الذئب والغدر
على ثدي واحد :
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أختين كانا أرضعا بلبان
وقول الشريف الرضي يشمت بذئبه عقب مصرعه :
لك الويل من مستطعم عاد طعمه
لقوم عجال بالقسي النوازع
وقول البحترى الذي لم تكذ تفوته شاردة أو
واردة من المعركة الرهيبة بينه وبين الذئب :
عوى ثم أقمى وارتجرت فهجته
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض واللبل مسود



الأدباء الذين شاركوا في هذه الندوة وهم (من اليمين) الشاعر عبد الرحمن العبيد ، القاص خليل الفزيع ، القاص ماجد أبو شرار ، القاص الأديب لقمان يونس والشاعر علي عويضة ، وكاتب هذه السطور .

حوار القصة القصيرة والرواية والشعر

في لقاء ضم لقيماً من أدباء المنطقة الشرقية ، طرحت على بساط البحث والمناقشة أسئلة تتعلق ببعض القضايا الأدبية ، المعاصر منها والقديم . وقد تناولها الأدباء الحاضرون من وجهات نظر متفقة حيناً ، ومتباينة حيناً آخر . لكنها بالاجمال جادة ورصينة وتفتح حواراً يسعد القافلة أن تدعو للمشاركة فيه ، بقصد المساهمة في إيجاد مناخ أدبي . يواكب النهضة الشاملة التي تعيشها المملكة العربية السعودية في هذه الحقبة من تاريخها الحافل .

وعلى الرغم من أن المنطقة الشرقية عرفت العديد من حملة الأقلام المتنازعين ممن نشأوا فيها . أو وفدوا إليها بحكم وظائفهم وأعمالهم . فإن ندوتنا هذه . ضمت خمسة من أدباء المنطقة وهم الأساتذة : لقمان يونس . وعلي عويضة ، وماجد أبو شرار ، و خليل إبراهيم الفزيع ، وعبد الرحمن العبيد ، وكلهم قصاص أو شاعر . نشر الكثير من إنتاجه على صفحات المجلات والصحف والجرائد السعودية والعربية أيضاً ، وللاستاذ لقمان يونس العديد من المؤلفات القصصية والأدبية المطبوعة ، كما أن للأستاذ علي عويضة ديواناً مطبوعاً ، وهو من الأعضاء المؤسسين في أسرة الوادي المبارك في المدينة المنورة .

وقد كانت القصة القصيرة فاتحة البحث في هذه الندوة الأدبية .

في القصة القصيرة

« هل لحضرات الأدباء أن يعطوا قراء القافلة فكرة عن « القصة القصيرة التقليدية » و « القصة القصيرة الحديثة » ، من حيث المدلول والأسلوب والمحتوى .

لقمان يونس : القصة القصيرة لون واحد . وهي تتحدث عن قطاع واحد من الحياة ، وذات هدف واحد ، ولا تأخذ حيزا كبيرا . كما تختلف باختلاف ميول الكتاب الأدبية ومدارسهم : كمدسة الفن للفن ، والمدسة التصويرية ، والمدسة الواقعية ، وغيرها . ماجد أبو شرار : القصة التقليدية هي القصة التي تطرح مشكلة معينة ، وغالبا ما تنتهي الى ايجاد حل لهذه المشكلة . أما القصة الحديثة فانها تتحدث عن مشكلة ما ، بمزيد من التكثيف ، تاركة للقارئ دورا فعالا في طرح الأسئلة ، بقصد ايجاد الحل الذي يراه مناسباً لتلك المشكلة . وهي في رأيي أعم فائدة وأجمل وقعا من القصة التقليدية ، التي تعطي المشكلة والحل في آن واحد .

خليل الفزيع : هناك خطوط رئيسية تفصل بين القصة التقليدية والقصة الحديثة . فالقصة التقليدية تعتمد على عناصر معينة ، كالحدث والشخصية والبيئة والأسلوب ، وهي غالبا ما تكون محدودة بزمان ومكان معينين ، كما أنها ذات هدف . أما القصة الحديثة فقد لا تتوفر فيها جميع هذه العناصر ، بل يكفي الكاتب بعنصر - أو أكثر - يستطيع من خلاله أن يجلب اهتمام القارئ . وأن يجعله يتفاعل معه . عبد الرحمن العبيد : القصة القصيرة أثر أدبي ، وهي ، على شمولها ، تحدد بفواصل وحدود معينة ، وأعتقد أن ما ذكره الأستاذة يوضح ماهية القصة التقليدية والقصة الحديثة بشكل مرض .

علي عويضة : ماذا تصفون « بالقصة التقليدية »؟ ماجد أبو شرار : القصة التقليدية ، هي تلك التي تتحدث عن مشكلة معينة ، وتضع حلاً لها ، وسميت تقليدية لأنها تعالج موضوعا مطروقا بشكل معروف ومتداول .

علي عويضة : القصة هي معان تخلق في نفس كاتبها ، فيعبر عنها بشكل فني يجعل القارئ يتفاعل معها ويستفيد من قراءتها .

ماهي ألوان « الحدث » في القصة القصيرة وهل يجدر بكتابها أن يخطط لها قبل الشروع

بالكتابة ، أو يجعلها تنامي أثناء السياق ؟ خليل الفزيع : تعتمد القصة القصيرة على حدث واحد ، لا أحداث . وأتصور أن المهم في الأمر ليس لون الحدث ، بل مقدرة الكاتب على إبرازه في الاطار المناسب ، وضمن خطة مسبقة .

ماجد أبو شرار : الواقع أن القصة القصيرة ليست نظرية تحتاج الى قواعد ثابتة وتخطيطات مسبقة . وإن جاز أن يكون هنالك تخطيط ما ، فيجب أن ينصرف الى الاهتمام بالحدث الرئيسي في القصة . أما الأحداث الصغيرة الأخرى فيجب أن تترك لتتنامى تلقائيا حول الحدث الرئيسي . وهي ، في رأيي ، لا تحتاج الى تخطيط مسبق أبدا .

لقمان يونس : يختلف الأمر في هذه الناحية ، حسب طبيعة القاص وحالته النفسية ، فكثيرا ما تكون لدى الكاتب فكرة معينة تظل تطن في « أذن ذهنه » - إن جاز هذا التعبير - حتى يبرزها الى حيز الوجود . يقول « سومرست موم » في هذا المعنى : « تظل الفكرة تطاردني حتى أدرجها . في قصة ، أو في عمل أدبي ما . » وكثيرا ما يحدث أن يشرع القاص في كتابة فكرة معينة ، فيجد نفسه ينتهي الى فكرة أخرى غيرها .

خليل الفزيع : أنا مع الأستاذ لقمان في هذا . فكثيرا ما يخطط القاص لقصة ، فيخرج بقصة أخرى ، بخلاف تخطيطه .

لقمان يونس : أبدأ أحيانا مشروع قصة ، ثم أنشغل عنه ، وتجدد لي فكرة ، فأعود فألبسها حلة مشروع السابقي ، وأخرج بنتيجة لا بأس بها . أما الحدث فهو تابع من نفسية القاص ، وهو يختلف باختلاف مزاجه ، لذلك تكون أعماله « درامية » أحيانا ، « وكوميديّة » أحيانا أخرى .

هل يجدر بكتاب القصة أن يكون موجّها دائما ؟

خليل الفزيع : يجب أن تكتب القصة ليستنتج منها المهدف ، لا للمهدف ذاته . ومن هنا أستطيع القول بأنه لا يشترط في القاص أن يكون موجّها دائما .

لقمان يونس : هنالك مدرستان تتناولان هذه المسألة . فالمدرسة التي ينتمي اليها « أوسكار وايلد » تدعو الى أن تكون وظيفة الفنان جمالية تماما . أما المدرسة الثانية فهي تدعو الى أن تكون وظيفة الفنان وظيفة اصلاحية ، وأن يكون

الفنان بالنسبة لمجتمعه كشرطي المرور راصدا ، وضابطا ، ومحافظا على القيم . لكن ليس عن طريق الوعظ ، وإنما بأسلوب ، وحنكة ، وبراعة تتركس كل ما هو جميل وقيم ، وتبعد كل ما هو قبيح وثافه .

علي عويضة : إن عبر الأديب عن قصصه بصدق وإخلاص فإن عمله سيكون هادفا بلا شك ، سيما اذا كانت قصصه واقعية . وفي هذه الحالة ينتفع المجتمع بالقاص كما ينتفع الناس بالطبيب البارع .

خليل الفزيع : أنا أختلف مع الأخ علي في أن القاص يجب أن يكون كالطبيب ، لأنه يجدر به أن يشخص أمراض مجتمعه ، وأن يترك أمر علاجها لذوي الاختصاص .

علي عويضة : هنالك قصص كثيرة تعالج مشكلات معقدة ، وهي من الجودة والتقدير بمكان .

ماجد أبو شرار : تنبثق عن الحياة مشكلات متشابكة ، ومهمة القاص هي أن يعالج هذه المشكلات واحدة واحدة ، وأن يصورها بتفهم وصدق . ويضعها أمام أولئك الذين يملكون القدرة على الرويا العميقة الجلية . ليتعرفوا اليها ويواجهوها كما يحلو لهم .

عبد الرحمن العبيد : أؤيد رأي الأستاذ ماجد في أن يترك أمر معالجة مشكلات المجتمع لذوي الاختصاص . أما الكاتب فإنه يؤدي رسالته على الوجه المطلوب منه اذا استطاع أن يعرض الأمور عرضا موفقا ، بحيث يستطيع الآخرون أن يأخذوا منه العظة والعبرة . أما الإصلاح فيكون نتيجة لذلك كما أعتقد .

علي عويضة : أنا معكم في هذا ، فما دام الأديب مدعوا لعرض مشكلات مجتمعه بصدق وعمق وتفهم ، فإن ذلك في حد ذاته اسهام من جانبه في الإصلاح .

ما رأي السادة الأدباء باستعمال العامة على ألسنة أبطال القصص ؟

علي عويضة : اذا كانت الكلمات العامية محدودة وضرورية لطبيعة القصة ، فلا بأس باستعمالها ، على أن توضع بين قوسين . أما اذا كانت كثيرة وغير ضرورية ، فهي ولا شك تفقد القصة قيمتها .

ماجد أبو شرار : لا بد وأن نقرر أن هنالك مواقف لا يمكن التعبير عنها الا بلهجة شخصيتها الحقيقية . فلا يجوز مثلا أن نجعل صبي المقهى في احدى القصص يتنطق بلغة الجاحظ



خليل الفزيع : « ليس المهم لون الحدث في القصة القصيرة بل مقدرة الكاتب على إبرازه في الاطار المناسب ».

ولذلك فأنا اعتبره استرسالا جادا وبناءً ، يساعد على تحريك القصة وسير الأحداث فيها .
خليل الفزيع : اذا كان الهدف من استخدام الحوار الذهني هو استعادة أحداث ترتبط بالحدث الرئيسي الذي يعيشه البطل ، فإنه ضروري وملائم . أما اذا جعل البطل ينشغل باستكناه المستقبل ، مغفلا الحاضر ، فإنه يصبح مجرد مسرحان يربكه ويربك القارئ أيضا .

لقمان يونس : ان اصرار المعاصرين على اقتباس أحدث أساليب الفن في الغرب وتطبيقها على الأدب العربي ، ترف ذهني لا طائل تحته . فالقراء الفرنسيون مثلا هم غير القراء العرب ، لأن لأولئك ظروفهم ، وطولاء ظروفهم . ومعظم قرائنا لم يعتادوا تذوق تلك الأساليب بعد . ولذلك فإنه ما لم تكن للحوار الذهني ضرورة قصوى ، فإنه يغدو ، في نظري ، مرهقا للقارئ ومحبلا بينه وبين تذوق العمل الفني الذي أقبل عليه .

طريقة استخدام « الفصحى المبسطة » عرضا جيدا ، يمكن القارئ الرجوع اليه . ومع أن استعمال الفصحى في الحوار أمر خطير ، لأنه اذا ما شابه الافتعال والتعثر يفقد الحوار قيمته . الا أنه اذا استخدم بفهم ودراية يرقى بالقارئ العادي الى مستوى الفصحى .

عبد الرحمن العبيد : لا أرى استعمال العامية في العمل الأدبي ، أيا كان ، أمرا مقبولا . ودعوة الكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم الى استعمال « الفصحى المبسطة » ما هي الا أولى درجات السلم نحو رفض الكتابة بالعامية رفضا تاما . ولكنني أرى أن استعمال العامية في نطاق ضيق للأعمال المذاعة محليا ، وفي نطاق بيئي معين ، أمر قد يتجاوز عنه .

هــ حـمـد عـبـد الحـمـد
في قصة

أو ابن المقفع . كما أن هنالك مشكلات تنبثق عن بيئات لا ينطق شخوصها الا بالعامية ، وهنا يجد القاص الصادق نفسه ملزما باستعمال العامية في معظم الحوار الذي يدور في قصته وأفضل ما أراه لتجنب استعمال العامية هو أن يتحاشى القاص أسلوب الحوار ، وأن يعتمد على أسلوب الرواية عن شخوصه بلغته هو ، وهي الفصحى بالطبع ، لا بلغة أولئك الشخوص .
خليل الفزيع : ان الذين يقبلون على قراءة القصة يعرفون الفصحى بلا شك ، ولكنهم قد لا يعرفون مختلف اللهجات العامية ، وهي كثيرة كما نعلم . ولذا فلا داعي لاستعمال العامية على ألسنة شخوص القصة ، شريطة أن تحل محلها « الفصحى المبسطة » التي تناسب ومستويات أولئك الشخوص ، ويعرفها جميع القراء على تباين لهجاتهم .

لقمان يونس : حيرت مسألة الحوار كتاب القصة القصيرة منذ بداية النهضة الأدبية ، وأنا لا أشجع استعمال العامية ، لأن هذا يفضي باللغة العربية الى تكريس مختلف لهجاتها كلفات منفصلة . تماما كما حدث في اللغة اللاتينية ، التي درست وحلت محلها عشرات من مشتقاتها . وتوفيق الحكيم . وقد خسر استعمال العامية في بعض انتاجه ، والتزم الفصحى في بعضه الآخر ، خرج بنتيجة ممتازة ، وهي استعمال « الفصحى المبسطة » في الحوار القصصي . وفي مقدمة « الصفة » عرض توفيق الحكيم

ماجد أبو شرار : أرى أن القصة القصيرة لا بد وأن تعتمد أحيانا على ما يسمى بالحوار الذهني ، الذي يمكن القاص من استجلاء أمور ملحة ، ليس من السهل استجلاؤها عن طريق الحوار المفتوح . وهو غالبا ما يكون محاولة جادة يقصد بها القاص تكثيف ما يريد التعبير عنه .

خليل الفزيع : أنصوّر أن العرب عرفوا فن القصة القصيرة ، ولكن ليس بالشكل الذي هي عليه الآن ، لأن القصة فن حديث حتى في أوروبا . أما « فن المقامة » فهو لون أدبي قائم بحد ذاته . وهو يختلف عن فن القصة القصيرة .

ماجد أبو شرار : لا شك أن المقامة تصلح لأن تكون نموذجا جيدا للقصة القصيرة ، وذلك اذا ما أعيد بناؤها ، مع مراعاة ما يجب أن تمتاز به القصة القصيرة الحديثة من حيث المضمون . وانطلاقا من هذا أستطيع القول بأن فن القصة كان معروفا لدى العرب ، وليس جديدا عليهم . عبد الرحمن العبيد : أشك في أن العرب عرفوا فن القصة منذ زمن قديم ، وأرجو أن يحدد الاخوان نوع القصة التي يقولون أن العرب عرفوها . فأنا أعتقد أن فن القصة فن عرفه العرب حديثا . خليل الفزيع : حكّت أشعار العرب الكثير من القصص . ويشتمل القرآن الكريم على عدد كبير من أروع القصص ، كما توارثنا قصص بطولات وحروب كثيرة .

لقمان يونس : اذا أردنا بالقصة (الحدث) فقد عرف العرب هذا الفن ، كما عرفته كل شعوب

أن تنساها. لكن بعد وفاته بزمن، عثر أحد المهتمين بالأدب على نسخة من تلك الطبعة، فأعاد طبعها، فكان لعمله ذلك كل الفضل في بلوغ الرباعيات هذا المركز الذي تتمتع به. انه الحظ، يعلب دوره في أغلب الأحيان.

خليل الفزيع : أصبح هنالك دور كبير للدعاية والاعلان في انجاح الأعمال الفنية اجمالاً، ومنها الروائية بالطبع.

لقمان يونس : للدعاية دور محدود كما نعلم، فالفرد - على حد قول المثل - يستطيع أن يخدع بعض الناس لبعض الوقت فقط، ولكنه لن يخدع الناس كلهم دائماً.

• ما هي الرواية العربية الأولى في رأيك ان وجدت، ولماذا؟

لقمان يونس : «الرباط المقدس» لتوفيق الحكيم، وذلك لأنها أمتعتني كثيراً.

ماجد أبو شرار : ثلاثية نجيب محفوظ، بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية، وذلك لأنها وثيقة تاريخية حية تتحدث بصدق عن مرحلة معينة عاشها مجتمع الكاتب.

عبد الرحمن العبيد : تمثل مجموعة روايات توفيق الحكيم قمة الانتاج الروائي العربي، لأهمية محتواها ولصدقها التصويري والتعبيري.

خليل الفزيع : بالإضافة الى ثلاثية نجيب محفوظ التي ذكرها الأخ ماجد، أعتقد أن رواية «عودة الروح» لتوفيق الحكيم لا تقل عنها من جميع النواحي.



علي عويضة : «عهد الأندلس» (٢) لـ جرجي زيدان، وذلك لأنها تعبر بصدق عن واقع ذلك العهد ولأن فيها من الحكمة والروعة ما يسترعي الانتباه.

• ما الهدف من قراءة رواية ما قراءة جادة؟

خليل الفزيع : الاستفادة ثم التسلية.

ماجد أبو شرار : اكتشاف عوالم جديدة والتعرف الى المزيد من الأصدقاء.

لقمان يونس : بالنسبة لي، لقد مررت من هذه الناحية بمراحل عديدة، ففي فجر شبابي كنت أبحث عن الانفعال والمتعة الأدبية. وعندما تقدمت بي السن قليلاً، صرت أبحث عن الصورة الصادقة، أما الآن فاني أقرأ حتى أستجلب النوم.. وربما للمتعة الأدبية.

في الشعر

• هل في عالمنا متسع للشعر بعد؟

علي عويضة : بلا شك! فالشعر لا حد له. أقول هذا مع أنني اعتزلت نظمته مؤقتاً، لظروفي الخاصة ومشاغلي الكثيرة.

عبد الرحمن العبيد : الشعر تصوير وتعبير لانفعالات الناس واحساساتهم، وهو انعكاس لعواطفهم. واعتقد أنه مهما طغت المادة، فلا بد من العودة الى ما تعكسه العاطفة.

لقمان يونس : طالما هنالك شعور بالفرح والألم، فلا بد وأن يكون للشعر موضع واسع، بل واسع جداً.

خليل الفزيع : ما دام في عالمنا متسع للانسان، ففيه متسع للشعر.

ماجد أبو شرار : الشعر هو أجمل الأشعة التي



ماجد أبو شرار : «اقرأ الرواية لاكتشف عوالم جديدة ولاتعرف على مزيد من الأصدقاء».

تتلقي زفراتنا، فتمضي بزوارقنا الملتحة في بحر الحياة المتلاطم، لترسو بها في موانئ حانية يغمرها الدفء والسعادة والحبور.

• آسف اذ أخالفكم، فأنا أختش على شاعر العصر من أن يضع سبائته في أذنيه، ليبعد عنهما ضوضاء المسادة، وليركز لاهث الأنفاس الى صحراء شاسعة يسمع شبحها شعره، لأنه لم يعد في عالم كعالمنا، صاحب أكثر مما يلزم. ومادى أكثر مما يلزم، أي موضع للشعر!

عبد الرحمن العبيد : الا الشاعر الحق، فهو يستطيع التوفيق بين عاطفته وفكره، والتعبير عن ملامح مجتمعه راضياً مرضياً.

• لماذا أقبل العرب على المتنبي كل هذا الاقبال؟

علي عويضة : لأن شعره من أروع ما قاله شعراء العهد الذي عاش فيه.

عبد الرحمن العبيد : المتنبي علم من أعلام الفكر العربي، لما تمتاز به آثاره المتجددة دائماً من جزالة في اللفظ، وسمو في المعنى، وتمثيل لروح البطولة. هذا بالإضافة الى خصائصه التي جعلت من شعره مدرسة تتلمذ عليها الكثير من الشعراء العرب.

خليل الفزيع : لأنه اختصر من جاؤوا قبله، فجاء شعره جامعاً بين فروسية عنترية، وجزالة امرئ القيس، ورقة ابن أبي ربيعة.

لقمان يونس : لقد شتمت المتنبي! **خليل الفزيع** : معاذ الله، ولكنني أقصد أنه اختصر فنون سابقه، فكان شعره جامعاً لما كاد يندثر من فنون الشعر.

عبد الرحمن العبيد : لقد اجتذب المتنبي زمام القيادة بخصائصه الفنية وشموخ فكره.

ماجد أبو شرار : كان المتنبي أكثر الشعراء العرب تجوالاً. لذلك كان أغناهم تجربة وأجزلهم شعراً. فكان الاقبال عليه أكثر منه على أي شاعر آخر.

لقمان يونس : كان المتنبي يمثل الطبيعة العربية في شعره، بايجازه وبلاغته ودرصانة تعبيره وابعاء نفسه، الا أن البحري والشريف الرضي يزاحمان المتنبي على اعجابي، لأنني أفضل السلاسة في التعبير، والعدوبة في اللفظ.

• ما هي صفات القصيدة الجيدة؟

لقمان يونس : الاصاله والصدق الفني في الدرجة الأولى.. وأفضل القصيدة التي تلمس أوتار قلبي!

« ألا تعتقد أن انتقال الشعر عن الشكل المسموع أيام كان يعتمد الرواية وسيلة لنشره ، إلى الشكل المقروء حاليا كان له أثر في ذلك ؟ لقمان يونس : نعم ، ربما يكون هذا هو السبب ، فإن الشعر الحديث يواجه مرحلة انتقال لم تنته بعد ، ولم تستقر . ويبدو لي أن هنالك محاولة لايجاد شعر قريب من الجماهير يحل محل القديم ، الذي يحاول المحدثون زحزحته من مكانه .. وحتى الآن لم يتوصل بعد إلى ذلك الشعر المنشود .

ماجد أبو شرار : لا أستطيع الحكم إطلاقاً بأن الشعر العربي المعاصر لم يعبر عن واقعنا ، لأن هنالك شعراء عاشوا - وما زالوا - تجارب أمتهم على أحسن وجه ، ولكنهم عندما نقلوا تجاربهم على الورق ، الذي تعاني من كساد ملحوظ وعن عدم اقبال بيتن . لم يستطيعوا اسماع أصواتهم إلى الأذان بشكل واضح ينم عن وجودهم الأكيد .

ولما كان الوقت متأخراً عند هذا الحد ، روي أن نتوقف عن البحث على الرغم من أن العديد من القضايا الأدبية المهمة التي تفتح باب الحوار على مصراعيه ، تظل قائمة . والقافلة إذ تتطلع إلى الاسهام في معالجتها في ندوات قادمة ، تشكر السادة الأدباء الذين لبوا دعوتنا لحياء هذه الندوة .

الحسين

خليل الفزيع : لم يستطع الشعراء المعاصرون ، مع شديد الأسف ، أن يعبروا بصدق عن واقع مجتمعنا بعد ، فقد ظل موقفهم تجاه بعض القضايا دون المستوى المطلوب . وعندما نقول ان الشعراء أدوا أدوارهم فإن مهمتهم تكون قد انتهت . لكنهم في الواقع يشاركون بشكل ضيق في التعبير عن واقعنا ، لأسباب قد تتعلق بهم ، أو بظروف تخرج عن إرادتهم في بعض الأحيان .

علي عويضة : من الشعراء المعاصرين من يختص بنظم الشعر الحماسي ، ومنهم من يختص بالغزل ، ومنهم من يختص بالمدح . فالشعراء الذين دأبوا على نظم الشعر الحماسي ، لا أشك أنهم أدوا رسالتهم على الوجه المطلوب . إلا أن شعراء الغزل والمديح لم يؤدوا رسالة عامة للمجتمع ، لأن رسالتهم خاصة تعبر عما يشعر به أحدهم إزاء ممدوحه أو محبوبته . والشعر ذو الفائدة في نظري هو الشعر الذي يؤدي دوراً مهماً في خدمة قضايانا العامة .

لقمان يونس : في هذه الحقبة لا أدري ما هو السبب في عدم وجود تجاوب كاف بين الشعر والجماهير . ففي حدائتي حفظت العديد من القصائد التي تعالج أغراضاً مختلفة . بيد أنني لا أعتقد أن أحداً من المثقفين العرب هذه الأيام يعني بحفظ الشعر ، أقصد كما كنا في الأيام الخوالي ، إلا فيما ندر ، ويكون ما يحفظه أشتاتاً متفرقة .

عبد الرحمن العبيد : «اجتذب المتنبي زمام القيادة بخصائصه الفنية وشموخ فكره» .



علي عويضة :

« إذا الشعر لم يهزرك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر »

« تلك التي تغني للإنسان وحياته .. أو القصيدة التي يحزنك بعد قراءتها أن شاعرها قد سبقت إليها .

لقمان يونس : تماماً ، وقديماً كان الواحد منهم يقول : « أعطي نصف شعري مقابل هذا البيت » .

عبد الرحمن العبيد : صفات القصيدة الجيدة وضوح خصائصها الفنية من انفعال ، وتعبير صادق ، وتجربة غير مفتعلة .

علي عويضة : القصيدة التي أفضلها هي القصيدة التي تهزني .

إذا الشعر لم يهزرك عند سماعه

فليس خليقاً أن يقال له شعر
ماجد أبو شرار : القصيدة الجيدة هي وليدة الانفعال الصادق العميق ، والتي تأتي كلماتها منسجمة مع صورها ومع الموضوع الذي تعالجه .

« هل عبر الشعراء العرب المعاصرون عن واقعنا بشكل مرض حتى الآن ؟

عبد الرحمن العبيد : أعتقد أنهم عبروا إلى حد ما فقد أدى شعراء العصر كالرصافي ، والزهاوي ، ومطران ، والمهجريين رسالتهم على أتم وجه ، كما أن بعض الشعراء المحدثين ساروا على نهجهم ، رغم وجود نفر منهم لم تكتمل لديه عناصر التجربة ، التي يجب أن تنبثق عن روح العصر .



معمل حقن الغاز في بقيق

يعلو فيبتلع كل الأصوات الأخرى ، والروائح الثقيلة تنبعث في أرجاء المكان حيث ترتفع حرارة الآلات الدارة بالبخار ، فتلفح الداخل لأول وهلة ، ويضطر المرء الى الصراخ بأعلى صوته ليحسب موظفا لا يبعد عنه سوى أمتار . وما هي الا بضغ لحظات حتى يزول الكرب ، وذلك عندما يدخل الزائر الى غرفة مراقبة المعمل المكيفة الهواء ، حيث لا روائح ولا ضجيج .

تواجه الداخل الى غرفة المراقبة في معمل حقن الغاز في بقيق لوحة كبيرة تحمل عشرات الأضواء والعدادات والمفاتيح والمؤشرات المختلفة الألوان والتي تعكس حالة سير العمل في كل جزء من أجزاء المعمل . مما يمكن الموظف المسؤول من اتخاذ الاجراءات المناسبة في الحالات الطارئة بسرعة ودراية .

وتتناوب العمل في المعمل أربع فرق تضم كل منها رئيسا ، ومشغلا ، ومشغلا مساعدا ، ويجري العمل فيه ليل نهار بطاقة حقن تتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ مليون قدم مكعب من الغاز يوميا تحقن بضغط يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ رطل على البوصة المربعة ، في الآبار الثلاث المخصصة لذلك في حقل بقيق ، ثالث أقدم حقول الزيت في المملكة العربية السعودية . وهذه الآبار هي البئر رقم - ٦ والبئر رقم - ٥٠ والبئر رقم - ٨٠ ، وتتراوح أبعاد مواقعها عن المعمل بين ١٥ و ١٨ كيلومترا . وقد كانت منتجة للزيت فيما مضى ، الا أنها خصصت منذ بضعة أعوام لحقن الغاز في الحقل المذكور ، ولم تعد تنتج الزيت تبعا لذلك . ومن الجدير بالذكر أن الغاز المحقون فيها ، يتسرب بفعل ضغطه المرتفع الى مكامن الزيت في الحقل بأكمله ، مما يساعد على استمرار تدفق الزيت تلقائيا من مختلف الآبار ، كما أسلفنا . هذا وترتبط الآبار الثلاث بمعمل حقن الغاز بأنابيب خاصة يبلغ قطر الواحد منها ١٢ بوصة ، وطا



مطر للممر الحرجي المؤدي الى أبرج النصفية ، تحيط به أديب الزيت ومعدر .

يتدفق الزيت تلقائياً من الآبار في مختلف الحقول في المملكة العربية السعودية بفعل الضغط الناشيء عن الغازات الذائبة فيه، ولذا فإن الحاجة لا تدعو الى استخدام المضخات لاستخراجه . ولكن هذا الضغط يتناقص يوماً عن يوم لأن كميات كبيرة من الغازات المصحوبة تنطلق مع الزيت المستخرج . لذلك فقد قامت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) بدراسات دقيقة في هذا المجال نتج عنها تطبيق طرق وأساليب خاصة يمكن بواسطتها المحافظة على معدل الضغط في المكامن وإبقاؤه مرتفعاً بحيث لا ينخفض مستوى الانتاج . وقد كان حقن الغاز المضغوط فسي الحقول التي استمر انتاجها لفترة طويلة أحد هذه الأساليب ، اذ أنشأت الشركة منذ بضع سنوات معملين لحقن الغاز أحدهما في عين دار والآخر في بقيق للغرض نفسه . وفي جولة في معمل حقن الغاز في بقيق أتاحت لنا فرصة الاطلاع على مراحل سير العمل في واحد من أهم مرافق الزيت في منطقة بقيق الصناعية .



منظر داخلي للمعمل وتبدو المكابس المتبادلة الحركة المستخدمة في مرحلة ضغط الغاز الأخيرة ، وهي تدار بالكهرباء ، بينما تبدو في أقصى الصورة مكابس رحيوية تدار بالبخار .



منظر خارجي لبعض أجزاء المعمل ، ويبدو الى اليمين جانب من أبراج جمع الغاز وتصفيته ، بينما يقوم السيد سعيد محمد الغامدي ، رئيس إحدى نوبات العمل ، بضبط كمية الغاز التي يجري حقنها في آبار الزيت .

القدرة على تحمل ضغط الغاز المرتفع وحرارته العالية لسنين عديدة .

وفي المعمل ، يجري العمل على ثلاث مراحل ، يمر خلالها الغاز في عدة مكابس رحوية ومتبادلة الحركة ومراوح ضخمة ، وذلك لزيادة ضغطه وتبريده وفصل ما يمتزج به من غازات أخرى أو سوائل أو شوائب ، ودفعه من ثم الى آبار الحقن التي أشرنا اليها آنفا . ففي المرحلة الأولى يصل الغاز من معمل فرز الغاز من الزيت الى معمل الحقن عبر خط أنابيب خاص يبلغ قطره ٢٢ بوصة . وتكون درجة حرارة الغاز عادة أثناء فرزه في معمل فرز الغاز من الزيت حوالي ١١٠ الى ١٣٠ درجة فهرنهايت ، بينما يكون ضغطه حوالي ٥٠٠ رطل على البوصة المربعة . لكن ضغط الغاز أثناء جريانه في الأنابيب ينخفض قليلا ، وقد يصبح عند وصوله الى معمل الحقن نحو ٤٠٠ رطل على البوصة

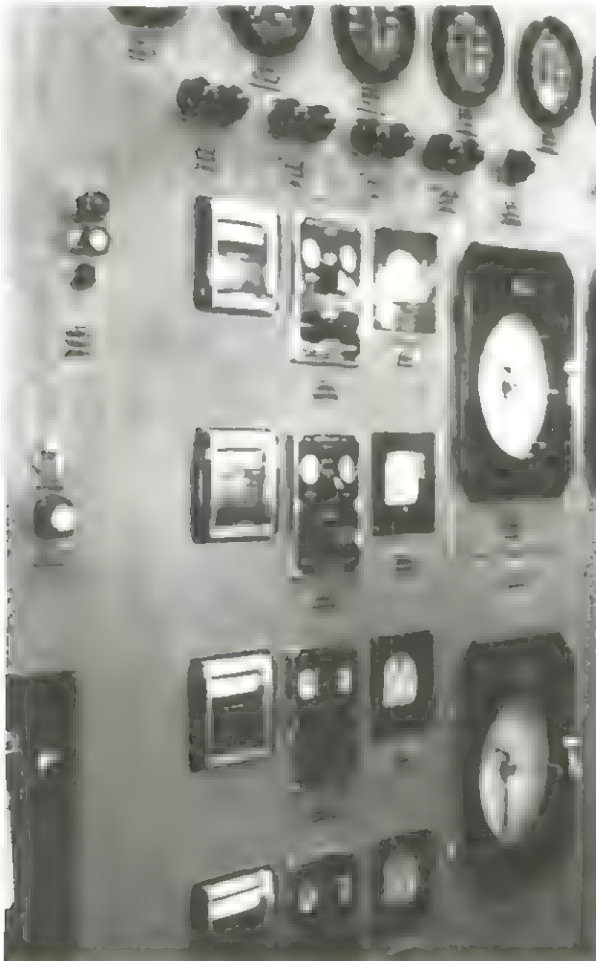
المربعة ، واذذاك يمرر الغاز في مكبس رحوين تديرهما طريقتان بخارية ، فيرتفع ضغطه الى حوالي ٧٥٠ رطلا على البوصة المربعة . وتصل درجة حرارته الى ٢٤٠ درجة فهرنهايت . ومن ثم ينساب عبر أنابيب خاصة الى مراوح ضخمة تسلط عليه تيارات هوائية تبرده وتكثف الأبخرة الممتزجة به .

بعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية من المعمل فيمرر الغاز في أبراج تصفية (مصافي) أسطوانية الشكل ترسب فيها الشوائب العالقة بالغاز والسوائل المختلطة به ، لينساب نقياً الى مكبس رحوين آخرين يرفعان ضغطه من حوالي ٦٥٠ رطلا الى ما يقارب ١٠٠٠ رطل على البوصة المربعة . وتبعاً لذلك ترتفع حرارته الى ٢٤٠ درجة فهرنهايت . ومن ثم يسير عبر أنابيب خاصة الى مراوح التبريد وأبراج التصفية التابعة لهذه المرحلة . ولدى خروجه منها يمرر عبر أربعة مكابس متبادلة

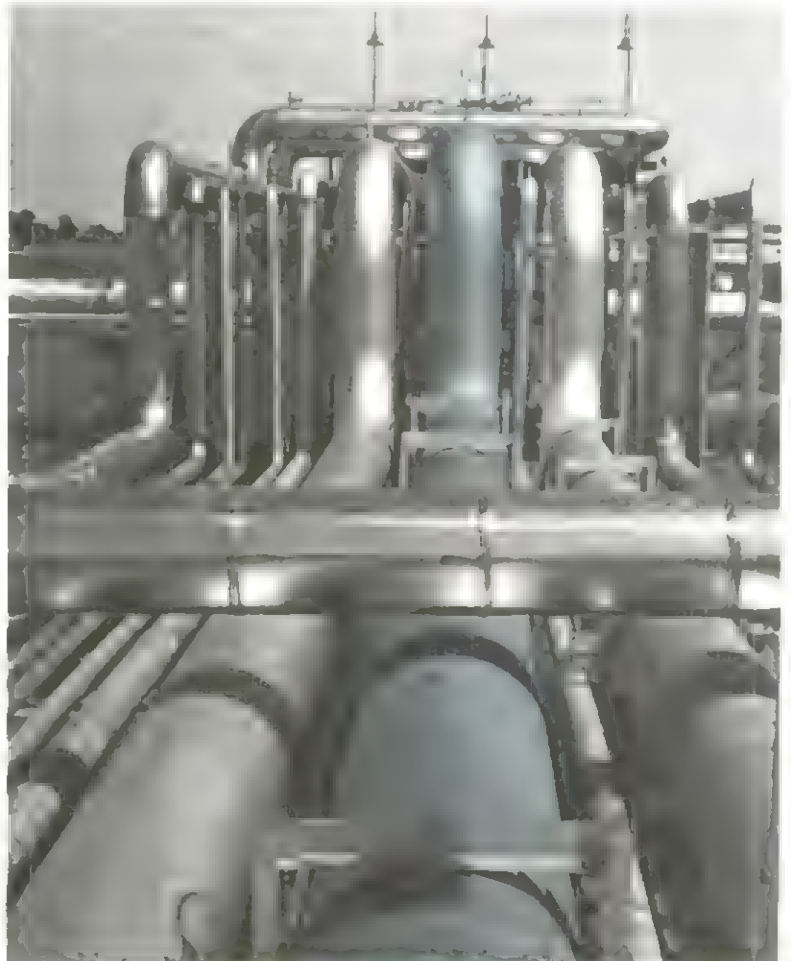
الحركة تديرها محركات كهربائية فيرتفع ضغطه نتيجة لذلك من نحو ١٠٠٠ رطل الى حوالي ٢٥٠٠ رطل على البوصة المربعة . كما تصل درجة حرارته الى ما يقارب ٢٥٠ درجة فهرنهايت . ومن هذه المكابس يتدفق الغاز بفعل ضغطه المرتفع الى آبار الحقن الثلاث حيث يتسرب الى المكامن المختلفة . وبذلك تنتهي مرحلة العمل الثالثة في معمل الحقن . وتنتهي معها رحلة الغاز المحقون من حيث بدأت ، بعيداً في مكامن الزيت تحت سطح الأرض .

ويما يجدر ذكره أن عملية حقن الغاز ، بالإضافة الى ما ينتج عنها من المحافظة على معدل الضغط في مكامن الزيت ، تعتبر أيضاً وسيلة تخزين مأمونة للغاز ، لأنه من السهل اعادة استخراج ما يحقن من الغاز الطبيعي والانتفاع به اذا دعت الحاجة الى ذلك ، أو اذا ازداد الطلب في الأسواق عليه .

ح . ح



لوحة المراقبة في المعمل الذي يعمل تلقائياً ، ويشرف عليه في كل نوبة ثلاثة رجال فقط .



يصل الغاز الطبيعي الى معمل حقن الغاز في بقيق ، عبر أنبوب ضخمة (الأوسط في الصورة) يبلغ قطره ٢٢ بوصة .

الاستاذ

للشاعر ضياء الدين رجب

بما فتاة الجزيرة العربية لا تكوني للعابسين ضحية
ان مجيد الفتاة أكبر مما صوروه في بهرج المدنية
في السياج الحديدي تحميته أهداف : فأما أمنية أو منية
شرف بلاذخ تتوجه الدهر من الصنوف هالة عجدية
فالحذور التي تضم على الحن عروشا هي الحصون القوية
كالآلى المحجبات بجوف اليم مكنونة الجمال نقية
وتحوم الشموس تنهل نهلا من شعاع الحقيقة الأزلية
وتهاب النصال تبرق كالحن المدججى بالفتنة المهرية
ذاك مجيد الفتاة في عالم الحس وفي مشرق الحياة الأبية
في الحياء الشهي ينض بالعمزة قماء لا تطيق المدنية

* * *

في الحنان الأبوي يذله القلب لأحلى ثماره الشاعرية
فلذات الحنى وأفلاذه الزغب وسرعى الأمومة العاطفية
لا تفرنك بالخداع العناوين كلمع السراب في سوء نية
ان مجيد الفتاة في غرسة النبل سقتها الشمائل النبوية
في الهدى : تزيح في ظله النفس وتنبأ عن الشرور الخفية
في بناء الحياة : تشرق بالأسرة فيها الأواصر العائلية
كل من يتنسى حضارة بيت مهتم في الحضارة العالمية
عندنا من حديجة المثل الأعلى ومجلى المفاسد الخلقية
آزرت بالحنان والحب والخير فداء من أنقذ البشرية
ملائها ثقافة البر والخير بأسمى ثقافة أبدية
وقفا أثرها صواحب كالأثمار ضحسين للمعالي الثرية
فأضأن السماء والأرض إيماناً وحلقن في الجواء القصيدة
هل تناسيت حولة وعلاها في مجال الوغى ومجلى الحمية
ان مجيد النساء بما تقوم لم يبق لعمري وراه من بقية
دندنوا بالخداع كيما تخوضين مع العابسين كل قضية
كله كله هراء ففي بيتك تبكين أنت مجيد البرية

ابن سلام الجاهلي ولابن قتيبة الدينوري

إذا رهب ، وزهر إذا رغب ، والأعشى إذا طرب ، وامروء القيس إذا ركب . هذا وقد حاول أحد النقاد المحدثين أن يتتبع أقوال العرب في الجاهلية ليتوصل الى معرفة الشعراء حسب طبقاتهم ان لم يستطع أن يحدد أشعرهم . وبعد بحث مستقص ، توصل الى قرار عجيب هو ان جميع الشعراء هم أشعر الشعراء لأنه لا يخلو أن يكون للشاعر بيت مدح لأجله . وما ان بدأ التدوين الأدبي حتى اتخذ التاريخ الأدبي النقد أساسا له ، يأنس به على وجه من الوجوه ، وان كان لا يزال نقدا ذاتيا غير مدعوم بالحجج والبراهين . ولعل أئمن ما خلفه القرن الثالث الهجري في هذا المجال كتابان هما : « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحي ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الدينوري .

أما ابن قتيبة ، فقد راعى ابن سلام في جمعه للشعراء ، حسب طبقاتهم ، الأمور الآتية :

الزمان : لم يكن ذلك من وجهة نظر تاريخية أو تبعا لسير الزمن فحسب ، بل كان نتيجة للتغير الذي أحدثته الاسلام في حياة العرب الروحية والمادية ، فقسّم شعراء كل فترة زمنية الى طبقات فنية ، ولم يكن له رأي شخصي بل غالبا ما كان يستعين بأقوال الأقدمين ، دون تعليل لذلك .

من الواضح ان الآداب قديمة قدم الأمم والأفراد ، قدم العواطف الفياضة والمشاعر الجياشة ، قدم الخلجات النفسية والخفقات القلبية ، منذ ان كان هنالك انسان يتأثر بأحداث . وهكذا كان الأدب الجاهلي يواكب حياة العرب اللاهثة ويشتهم القاسية ، يصرف الشعراء طاقاتهم في التغني بأمجاد القبيلة وآلامها ، وإذا ما خلا الشاعر لنفسه تغنى بآماله وآلامه ، فتغزل وشبب وافتخر ، ومدح وتكسب ، ورثى وتأسى . كل هذا والعرب لم يكونوا قد بلغوا بعد مرحلة حضارية تسمح لهم بالتدوين أو حفظ النصوص وسرد سير شعرائهم على نحو ما ، فلم يسبق ان جمع أحد من العرب قصائد شاعر بعينه أو قصائد مجموعة من الشعراء يربطهم رابط جغرافي أو تاريخي أو مذهب شعري أو طريقة فنية واحدة .

ولا يعني هذا أن العرب لم يكونوا يستجيبون للشعر . فمن المعروف أن الآراء كانت آنذاك مجرد مقدمة نقد ذاتي لا يقوم على استقصاء أو تعليل ، وانما على أحكام اجمالية ، كأن يقول أحدهم مثلا : « هذا أشعر الشعراء » ، ويقول آخر : « أفخر ما قالت العرب كذا ، أو أهجى بيت هو ما قاله فلان » ، أو ما قالوه من جمل نقدية مسجوعة كقولهم : « النابغة أشعر الشعراء »

بقلم الاستاذ محمد احمد الزغاري

المكان : لاحظ ابن سلام أثناء تدوينه للشعراء حسب قراتهم الزمنية ، ان بعض الشعراء لم يكونوا شعراء للعرب كافة ، وإنما شعراء اقليميين ، فجمعهم حسب أماكنهم ، لكن لم يفته ان يفاضل بين شعراء البلد الواحد ، حيث جعل « عبد الله ابن الزبيري » على رأس شعراء مكة ، و « حسان بن ثابت » على رأس شعراء المدينة .

التقسيم الفني : وجد ابن سلام ان هنالك مجموعة من الشعراء اختلفت عن سواها بصدق العاطفة وحرارتها نتيجة ظروف معينة حرمتهم قريبا أو عزيزا ، فأفردهم في طبقة خاصة تحت اسم شعراء المراثي ، وبعد أن قسمهم الى طبقات قال « والمقدم عندنا هو متمم بن نويرة » .

من هذا نرى أن مهمة ابن سلام الجمحي لم تكن تاريخية فحسب بل كانت نقدية كذلك . وصحيح أن نقده كان ذاتيا يعتمد على الذوق ، ولكنه لم يكن يأنس الا بدوق ذوي البصر بالشعر ، المنصرفين اليه . وقد قال في ذلك : « جاء رجل الى خلف الأحمر وقال له ، اذا سمعت شعرا واستحسنته ، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك يعني النقاد » . فقال له خلف : « اذا أخذت درهما واستحسنته ، ثم قال لك الصراف انه ردىء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ » .

وقد برز ذوقه الأدبي واضحا في تحقيقه للنصوص الشعرية ونفيه كل ما لا يعتقد صحة نسبته الى بعض الشعراء أو صحة نسبة بعض الشعراء الى قبائل ليست بقبائلهم . ومن الواضح أن تحقيق النصوص هي أولى مهام الناقد الأدبي . وقد عمد « ابن سلام » أثناء تدوينه الأدبي هذا الى تفسير بعض الظواهر الأدبية ، وهذا ما لم يكن مألوفاً من قبل ، فقد علل قلة الشعر في مكة والطائف والمدينة بقلّة الحروب التي تستدعي قول الشعر . أما بالنسبة للمفاضلة بين الشعراء فكان يعتمد في تقييمه لهم على مبدأين أساسيين هما ، كثرة الشعر وتعدد أغراضه ، وجودته .

إذا تصفحنا كتاب ابن قتيبة « الشعر والشعراء » ، وجدنا أنفسنا أمام نموذج مخالف لابن سلام تمام المخالفة ، فهو لم يأخذ بفكرة الطبقات ولا بفكرة الكم في تقييمه للشعراء ، ونكاد نقول بأنه لم يصدر عن فكرة ما أو منهج في التأليف ، فتاريخه أشبه بقصص ونوادر وأخبار متفرقة تفتقر

الى الأصالة . لذلك لم يكن ابن قتيبة ناقداً ، وإنما كان قتيبة في الدين عالماً في اللغة . وقد كان يقول للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأقوالهم وأشعارهم في النحو ، انه يفتتح كتابه بقوله : « هذا كتاب ألفت في الشعراء ، أخبرت فيه عن أزمانهم وأقدارهم ، وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته . ولا أحب أحدًا من أهل التمييز ، نظر بعين العدل ، يستطيع أن يقدم أحداً من الكثيرين على غيره الا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره . » وهي فكرة صائبة خالف فيها ابن سلام ، كما انه خرج على المألوف في عصره بقوله : « ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين التقدير لتقدمه والى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره بل أعطيت حظه ووفرت عليه حقه . »

حين حاول أن يطبق هذه الفكرة التقريرية الصائبة خالفه التوفيق حيث عاد فنقص قوله حين حرم على الشاعر المتأخر الخروج على أسلوب الأقدمين في نظم القصائد فهو يقول : « كما نسلم انه من السخف أن يحاول المحدثون تجديد ديباجة شعرهم ومدخل قصائدهم باستبدال المنزل العامر بالدمى ، أو البكاء عند الرسم الدارس بالبكاء عند مشيد العمران .. » فهو يستنكر مثلاً قول « اشجع السلمي » في مدح الرشيد :

قصر عليه تحية وسلام
ألقت عليه جلالاً الأيام
قصرت سقوف المزن دون سقوفه

فيه لأعلام الهدى أعلام
والواقع أن ابن قتيبة كانت عنده ناحيتان : ناحية الروح العلمية التي صدر عنها ، وهذه روح صائبة في دعوتها الى تحكيم النظر الشخصي والاستقلال بالرأي ، وناحية الذوق الأدبي ونقد الشعر ، وهذه أضعف نواحيه . فمن نظرتة العلمية الصائبة ، قاوم فلسفة الأدب أو اخضاع الأدب العربي للفلسفة اليونانية ، ووقف في وجه التيار الجديد دون طغيان المنطق على الأدب كما كان قد طغى على الكلام عند المعتزلة وغيرهم .

أما ما يؤخذ عليه فهو انه لم يتقد النصوص نقدا موضوعياً أي ان يذكر للنص ورأيه فيه ، كما فعل الآمدي من بعد في كتابه « الموازنة بين الطائيين » ، وإنما أورد أخباراً وقصصاً عن الشعراء المختلفين ثم بعضاً من أشعارهم ، دون مناقشة ولا حكم . أما آراؤه في النقد ، فقد تعرض

لها منفصلة عن الشعر في مقدمة كتابه حيث نجد بعض المسائل الأدبية العامة وبعض المقاييس في الحكم على الشعر .

في نظرات ابن قتيبة يرجع ، كما يبدو ، الى منهجه العقلي . فهو تقريرى الزعة في كل شيء ، لا ينظر الى الظواهر نظرة تاريخية بل تقريرية محضة ، حيث يقول : « ما كان ذلك الا لأن التشبيب قريب من النفوس عالق بالقلوب .. » ومن ذلك ما نراه في تقاسيمه للشعر حيث يقول : « ان الشعر على أربعة أضرب : ما حسن لفظه وجاد معناه ، وما حسن لفظه وحلا فاذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، وضرب جاد معناه وقصر لفظه ، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه . »

وهذه النظرة تقوم على حكمين تقريريين سابقين الأول : أنه يرى فصل اللفظ عن المعنى وتقديم المعنى على اللفظ ، والثاني يرى أنه يجب أن يكون لكل بيت من الشعر معنى . والمعنى الذي يقصده « ابن قتيبة » اما أن يكون فكرة أو مغزى اخلاقياً ، فهو ينتقد أبيات عمر بن أبي ربيعة الغزلية ، لخلوها كما يقول من كل معنى مفيد : ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حذب المطايا رحالنا
ولا ينظر الغادي الذي هو رائع
أخذنا بأطراف الأحاديث يشنا
وسالت باعناق المطي الأباطح
أما المغزى الاخلاقي فواضح من اعجابه بقول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة اذا رغبنا
واذا ترد الى قلب ثقل
والظاهر أن ابن قتيبة الفقيه قد عجز عن فهم الصور الفنية والحالة النفسية في الأبيات الأولى ، كما عجز عن فهمها في أبيات ذي الرمة وقد حط رحاله بمنزل الحبيبة فلم يجدها :

عشية مالي حيلة غير انسي
بلقط الحصى والحظ في الترب مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعبده

بكفتي والغربان في الدار وقع
مما تقدم رأينا ان ابن سلام الجمحي مؤرخ ناقد يصدر عن ذوق سليم في نقده ، في حين ان ابن قتيبة ، وان كانت نظراته العلمية صائبة ، فقد جانبه الحظ في نظراته التقريرية وفي ذوقه التطبيقي ، الذي كان أضعف نواحيه في التأليف .

كيف يتحقق للمرء صفاء البال

للمستاذ الدكتور احمد فتواو الوهواي

يبدو أن صفاء البال من المحال ، ما دام الإنسان مركباً من نوازع ورغبات ، وآمال وآلام ، وأصماغ عسيرة المنال . ولكن أخطر ما يعكر الصفو ، ويذهب براحة البال ، المخاوف المتعددة المصادر التي قد يكون بعضها واقعياً حقيقياً ، وبعضها الآخر وهمياً من اختراع الخيال ، ونسيج الأوهام . وكثيراً ما تهبط هذه المخاوف الملموسة إلى أعماق اللاشعور ، ولكنها لا تختفي تماماً ، بل تظل تعمل ، وتكون مصدراً لما يعرف بالقلق

فاذا أردنا أن يتحقق لأحدنا صفاء البال ، فلا بد أن نزيل الأسباب التي تعمل على تعكير البال . وقد كانت هذه الأسباب موجودة من قديم الزمان ، صاحبت الإنسان على مر التاريخ

في الأزمنة الطويلة ، وكلما تغلب على أحدها ، وظن أنه قد بلغ ما يريد من مرام ، ظهرت أمور أخرى تؤرقه وتقلق راحته . وإذا شئنا أن نتبين هذه الأمور ونرسم لها ، على طريقة العلماء ، خطأ بيانياً يبدأ من التاريخ القديم الموهل في القدم حتى العصر الحاضر ، لرأينا أن أسباب المخاوف والهموم كانت كلها خارجية ، في الأغلب الأعم ، وشيئاً فشيئاً تغلب الإنسان على هذه المخاوف الخارجية ، وأصبح آمناً من جهتها . ولكن أخذ الخط البياني يتجه من المصادر الخارجية إلى الكوامن الداخلية ، التي تنبعث من داخل النفس الإنسانية ذاتها .

كان الجهل بالعالم الخارجي مبعث الخوف ، فأضحى الجهل بالنفس مصدر الهم والقلق . ونحن لا نعرف أكان الإنسان البدائي في فجر الإنسانية يعيش ناعم البال أم كان مهموماً مؤرقاً ، لأن الزمن الذي يفصله عنا مديد ، ولم يترك لنا رسائل يثبت فيها خلجات نفسه ، اذ لم يكن يعرف الكتابة ، اللهم الا بعض الرسوم التي خلقتها لنا داخل الكهوف ، التي كان يأوي إليها كلما حل الليل ، وينشق فيها تلك الساعات الموحشة المظلمة . وهي رسوم تتميز بالفن ، صورت فيها من خياله ما يعكس صفو حياته ، ويجعله يخشى على نفسه . انها صور الوحوش البرية كالأسود ، والنمرة ، والثيران البرية ، لا يعنى في رسمها بالتفاصيل ، بل بإبراز مواطن الخطر ، مثل قرون الثور . فالإنسان الأول لم يكن خلي البال . لأن المخاطر التي كان يتعرض لها ، ويجتنبها ، بالابتعاد عنها والجري بعيداً منها . كانت تلاحقه في خياله ، ويصور له الوهم أن هذا الخيال حقيقة واقعة ، فيأخذ في تسجيل هذه الأوهام في الرسوم والتصاویر . ومن هنا كانت احدى بدايات الفن .

وصف الفن راحة ، وفيه تسلية ، وفيه تسرية عن النفس . لأن الفن هرب من الواقع المرير ، إلى الخيال اللذيذ . فان كان المرء لا يقوى على مكافحة آلام الواقع ، وهي مبعث قلقه ، فليكافحها في الخيال ، وليتصور أنه قد قضى عليها . سواء أكان هذا الفن رسماً وتصويراً ، أم غناء وموسيقى ، أم قصصاً ورواية .

ولا يزال الإنسان في العصر الحاضر ، كما كان أجداده السوالف في العصور السحيقة ، يتخذ من الفن ملاذاً وراحة وشفاء بال . ولعله الآن أحوج إلى هذا الفن منه في الزمن القديم .

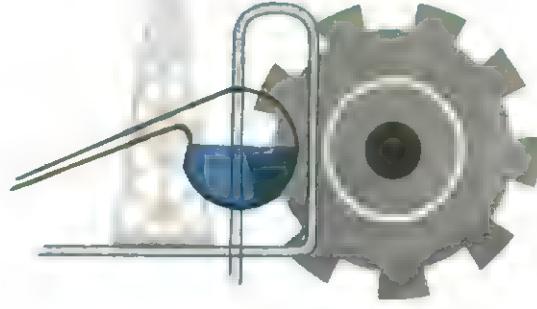
وبخاصة بعد أن تقدمت الفنون وتطورت ، حتى ظهر منها الخيالة ، وهي المعروفة بالسينما ، وظهر منها فن التلفزيون ، فضلاً عن ألواح المسارح والملاهي ودور المرح ، وغير ذلك .

ولا تحسبن أن الالتجاء إلى الفن ، لصرف المخاوف وإزالة الهموم ، كان مقتصرًا على الإنسان البدائي ، أو الإنسان المتمدين في العصر الحاضر . ففي العصر الوسيط كان الناس يلجأون إلى الفن ، العامة منهم ، والجمهور ، والعلماء ، والمثقفون من عليّة القوم . فهذا أبو علي بن سينا أشهر فلاسفة الاسلام يحكي لنا ، في سيرته ، أنه حين كان وزيراً يصرف شؤون الوزارة بالنهار عند شمس الدولة ، كان يجتمع عنده المغنون بآلاتهم طرفاً من الليل ، التماساً للراحة من عناء الأعمال . وكان الناس في زمانه غير آمنين على حياتهم ، لكثرة اللصوص ، وعدوان فتنك الليل ، وقطع الطرق على المارة . وهو نفسه لم يسلم من أذى هذه الفئة من الناس ، ولكنه كان يستعين على قلق البال بالموسيقى والغناء .

الفن اذن ، استمتاعاً بالنظر اليه أو الاستماع له ، أول دواء نصفه لصفاء البال . والدواء الثاني موصوف مجرب أيضاً ، انه العمل . فالعمل في حد ذاته متعة للنفس . وقد صور الفيلسوف الفرنسي « برجسون » أن العمل مصدر ما يشعر به المرء من بهجة وسعادة . وكلما انغمس الإنسان في العمل ، نسي نفسه ، وغاب عنها ، فلا يبقى أمامه سوى هذا العمل الذي ينهمك فيه ، حتى يرى ثمرته ، فيسعد ويتبجح ويتشفي . ان الصانع في مصنعه ، والزارع في أرضه ، والكاتب في تأليفه ، كل أولئك عامل . لا فرق بين الواحد منهم والآخر . سوى أن عمل الصانع يدوي أو بالآلات . وعمل الكاتب ذهني مجرد معنوي . والعمل مطية الاستغراق ، والبطالة سبيل الفراغ ، والاستغراق في العمل مشغلة للذهن ، والفراغ يبعث على السأم والملل والتفكير في الهموم . لذلك نصح الحكماء كل من يريد أن يعيش ناعم البال بالانهماك في العمل والانتاج ، بشرط أن يتصف العمل بالكمال والانتان . والأمثلة من التاريخ لا تحصى . يروى أن الامام أحمد بن حنبل كان يتكسب من نسخ الكتب بالأجرة . وفي العصر الحديث يروى أن « جون دبوي » الفيلسوف الأمريكي الشهير عندما بلغ السبعين من العمر ، شغل وقته بتربية الدجاج وبيع البيض ، ولم يتخرج من هذا العمل . فالعمل دواء يوصف لصفاء البال ، ولا ينبغي

يدخل خط الأنابيب أراضي النصارى عبر هذا النفق المحفور في سطح الجبل .





هل مرج جديد؟

طريقة مهيبة لأفضـل الأبقار العقيمة

تساعد على نمو الثدي ، وإن الهرمونات التي تفرز تحت الجزء القشري من الغدة الكظرية تزيد في إنتاج الحليب . ويعتقد العالمان المكتشفان بأن الفائدة المتوخاة من هذا الابتكار لن تكون مقصورة على إنتاج الحليب بكميات وفيرة فحسب ، بل ستساعد أيضاً على انقاذ ٢٠ في المائة من الأبقار العقيمة التي ينتهي مصيرها إلى الذبح بسبب عقمها ، وإبقائها مصدراً حيوياً لتكوين معاملة الألبان بالحليب . وقد كشفت التجارب المخبرية التي أجريت للغاية نفسها ، عن أن ارتفاع نسبة الحمل بين الأبقار يجعلها أكثر إنتاجاً للحليب . هذا وقد تركزت الدراسات على إمكان الحصول على حليب جيد من الأبقار التي جرى تلقيحها بالهرمونات . وفي حال فشل هذه التجارب في الحصول على نوعية الحليب المطلوب ، فإنه يمكن الاستفادة منها في جعل معدل ثلث الأبقار العقيمة تقريباً قابلة للأخصاب ، وذلك بعد تلقيحها بالهرمونات . وقد دلت الاختبارات العديدة على أن كثيراً من الأبقار التي لقحت بالهرمونات قد زاد وزنها من ١٠٠ إلى ٣٠٠ رطل ، كما أن أبقاراً أخرى زاد إنتاجها من الحليب .

ما انفك الإنسان يجد في محاولاته العلمية ازاء تطوير مصادر الغذاء والبحث عن مصادر أخرى جديدة . وهو في سبيل ذلك أدخل تحسينات وإضافات على أنواع عديدة من مصادر الغذاء بغية تحسين جودتها . والحليب ، مثلاً ، هو أحد مصادر الغذاء الرئيسية التي ما زال الإنسان يوليها عناية فائقة . ومن المعروف أنه يمكن الحصول على الحليب من مصادر حيوانية عديدة ، أهمها الأبقار . غير أن ثمة أنواعاً من البقر مصابة بالعقم . وقد أجريت دراسات واختبارات علمية في هذا المضمار تبشر باحتمال تخصيب الأبقار العقيمة ، وجعلها منتجة للحليب بكميات تجارية تفي بمتطلبات معاملة الألبان . وقد جاء في إحدى النشرات العلمية مؤخراً أن اثنين من علماء جامعة « ميشغان » الأمريكية ، تمكنا من ابتكار طريقة حديثة لجعل الأبقار العقيمة الأخصاب تنتج الحليب على نطاق تجاري . ويقول العالمان : « لكي تتحقق هذه الطريقة بشكل فعال فإن هناك عائقين يجب إزالتها ، أولهما ، عدم نمو الثدي نمواً كافياً ، وثانيهما ، عدم وجود طريقة يعتمد عليها في استرداد الحليب بعد نمو الثدي . » بيد أنه تبين لهما أن الهرمونات التي يفرزها المبيض

لأحد أن يترفع عنه ، ما دام شريفاً . فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يرفع ثوبه ، ويخفف نعله .

وإن مواجهة المخاطر ومجابهتها ، والعلم بها وبأسبابها ، ومعرفة سبل الوقاية منها ، كل ذلك هو الدواء الإيجابي لراحة البال . أما الفن والعمل ، فكلاهما سيبلان سلبان أقل فائدة في هذا المجال من العلم الصريح .

والعلم ، إذا كان قد قضى على تلك المخاطر ، فإنه لم يستطع ، وأكبر الظن أنه لن يستطع ، القضاء على الخطر الوافد إلى المرء من داخل نفسه . وقد قيل إن أكبر الأعداء عدوك الذي بين جنبيك ، والعلم ، على الرغم من تقدمه الهائل في مجالي الطبيعة والاحياء ، فإنه لا يزال قاصراً في ميدان النفس البشرية ، لم يستطع التغلب على منازعتها .

والذين حللوا النفس البشرية قديماً وحديثاً ذهبوا إلى أن داءها القاتل يكمن في النزاع التي تحيك في صدر معظم الناس ، كالحسد والعداوة ، والحقد ، والطمع ، والطموح ، وغير ذلك . وأكبر من فصل هذه النزاع من القدماء أبو حامد الغزالي في كتاب « الأحياء » ، وكتب عن كل داء منها فصلاً طويلاً ، ووصف الدواء الشافي لهذه الأدوية كلها ، وهو عنده التسلسل بأهداب الدين ، والأخذ في طريق الزهد ، والتخلي بيقين الإيمان . ولكن هذا الطريق بجميع تفاصيله لا يقوى عليه جميع الناس . أما الطريق اللائق بالأغلبية العظمى منهم ، فهو ما وصفه أطباء اليونان في القديم من لدن أبقراط إلى جالينوس ، والذي لا يزال الأطباء في العصر الحاضر يصفونه ، وهو الاعتدال ، وإن يؤخذ كل شيء بمقدار . وأن الحكمة القائلة « خير الأمور الوسط » ، لا تزال هي حكمة اليوم .

وقد حلت الفلسفة الرواقية هذه الأزمة بالرضا بالواقع والرضا بالقضاء والقدر . وبظهور الاسلام سادت الحكمة القائلة « ما كان لك سيأتك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك » . وهي حكمة مريحة تنتهي إلى صفاء البال ، ولكن الاسراف فيها يؤدي إلى التواكل . وقد سئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى « أنا كل شيء أنزلناه بقدر : اذن فيم العمل » ؟ فأجاب « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له » .

إن صفاء البال يكمن في هذه الحكمة النبوية ، ومدلولها : الرضا بالقضاء ، والعمل الدائب والانتاج .

خط الأنابيب عبر جبال الألب (تال)

عبر جبال الألب الشاهقة ، حيث تغطي الثلوج القمم على مدار السنة ، تم مؤخراً مد خط للأنابيب كان له أثره في تقصير المسافة بين حقول الزيت وأسواقه ، واعداد بلدان أوروبا الوسطى بما يلزمها من الطاقة لمواجهة نموها الصناعي المطرد .

الخطان في عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ على التتابع ، ازداد الطلب على الزيت في بلدان وسط أوروبا وجنوبها ازدياداً ملحوظاً ، الأمر الذي أدى إلى مد خط آخر لمواجهة ذلك . وليس خط أنابيب (تال) مقصوداً على تزويد مدينة « انجولستادت » وحدها بالزيت ، ولكنه متصل بخط أنابيب الراين - الدانوب لتزويد مدينة « كارلزو » بما تحتاجه من الزيت ، مما خفف الحمل على خط أنابيب جنوب أوروبا وجعله مقصوداً على مواجهة متطلبات المستهلكين هناك .

من الفولاذ ، طول كل منها ١٢ متراً وقطرها ٩٠ سنتيمتراً ، ويبلغ وزن الفولاذ الاجمالي الذي صنعت منه هذه الأنابيب ١٢٠٠٠٠ طن . ويستطيع هذا الخط الهائل أن يستوعب نحو ٢٢٠٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام . وقد جرى تركيب شبكة اتصال ألكترونية تعمل تلقائياً للتحكم في مراحل سير العمل فيه بشكل مستمر ، وحسب ما هو مرسوم له .

مركز (تال) بالنسبة لأوروبا

كان الزيت الذي تستهلكه أوروبا . لسنوات قليلة ماضية ، يكرر قرب سواحل البحار ، ومن ثم ترسل مشتقاته إلى المستهلكين في شاحنات خاصة ، أو قطارات ، أو ناقلات صغيرة . وفي أواسط الخمسينيات من هذا القرن ، وجد أن وسائل النقل هذه لم تكن كافية لمواجهة الطلب المتزايد على الزيت ، ولذلك بوشر في بناء معامل للتكرير بالقرب من أماكن الاستهلاك ، وأصبحت خطوط الأنابيب نتيجة لذلك ، خير الوسائل لنقل الزيت إليها .

وقد بنيت منذ عام ١٩٥٨ خمسة خطوط أنابيب رئيسية للزيت في أوروبا الغربية ، وكان خط الأنابيب عبر جبال الألب (تال) الذي نحن بصددده ، سادسها .

ول « لتال » مركز هام كخط رئيسي لاعداد بلدان أوروبا الغربية بالزيت ، وتعتبر مدينة « انجولستادت » ، حيث ينتهي ، مركزاً صناعياً وتجارياً ممتازاً . وهي محاطة بعدة معامل لانتاج المواد البتروكيماوية ولتكرير الزيت الخام . وتعتمد على « خط أنابيب الراين - الدانوب » و « خط أنابيب جنوب أوروبا » لتزويد تلك المعامل بما يلزمها من الزيت الخام . ومنذ أن مد هذان

سلسلة جبال الألب ، بالنسبة لسكان المناطق الأوروبية التي تمتد فيها . حقيقة مهمة في حياتهم إذ ظلت على مر العصور حصناً منيعاً طالما قهر زمر الفاتحين ، وقلما قهره ، وعقبة كأداء في سبيل التجارة ، ومعيناً لا ينضب من الجمال الخلاب . وعند ممرات جبال الألب ، في السفوح والقمم سطر كل من « هنيبال » بفيلته ، ونابليون بفيالقه ومغامراته الجريئة سطورا لا تنسى في تاريخ الحروب ، كما أن سكك الحديد والطرق والأوتفاق ، التي تجتاز قممها وأوديتها ، فتصل بين ما كانت تحول دون اتصاله ، تعتبر من روائع الفن الهندسي ، لا في أوروبا وحدها ، بل وفي العالم أجمع .

ومنذ شهور تمت كتابة فصل جديد في تاريخ تلك السلسلة الجبلية المنيعه الرائعة ، وذلك عندما تم انجاز مد خط الأنابيب عبر جبال الألب (تال) (Transalpine Pipeline) من ميناء « تريستي » الايطالي ، الذي يقع على « البحر الادرياتيكي » ، إلى مدينة « انجولستادت » الألمانية ، الواقعة على نهر الدانوب ، والتي تشتهر بقلاعها الأثرية . ويعتبر هذا الخط من أهم خطوط أنابيب الزيت في أوروبا الغربية ، ويبلغ طوله نحو ٤٦٠ كيلومتراً ، أما طاقة الضخ فيه فتبلغ ٣٠٠٠٠ برميل يومياً . بيد أن طاقة الضخ القصوى لهذا الخط قد تزيد على مليون برميل يومياً في حال تشغيل جميع محطات الضخ التي أنشئت عليه . ويبدأ تدفق جريان الزيت عبر هذا الخط من مستوى سطح البحر في ميناء « تريستي » ، ثم يرتفع تدريجياً حتى يصل إلى نقطة في إحدى قمم الألب يبلغ ارتفاعها ١٦٠٠ متر عن سطح البحر وذلك هو أقصى علو يبلغه . ويتألف الخط من (٤٠٠٠٠) أنبوبة

تقدر تكاليف انشاء خط أنابيب (تال) بنحو (١٨٥ مليون دولار) أي ما يعادل (٨٣٢٥٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي) . أسهمت بخمسها شركة ستاندرد أويل (نيوجرسي) . بينما أسهمت في تحمل الجزء الباقي اثنا عشرة شركة أخرى للزيت بين فرنسية ، وإيطالية ، وألمانية ، وهولندية ، وبريطانية ، وأمريكية . وهو يمر عبر أراضي ثلاث دول هي إيطاليا ، والنمسا ، وألمانيا الغربية . ومن الجدير بالذكر أنه بينما تتعاون شركات الزيت السالفة الذكر على انشاء هذا الخط وتمويله ، نجدها تتنافس على تكرير الزيت الذي يتدفق عبره وتسويقه .

وقد أنشئت في خليج « موغيا » بالقرب من ميناء « تريستي » فرضتان واسعتان لاستقبال ناقلات الزيت القادمة من الشرق الأوسط أو شمال أفريقيا ، تبلغ حمولة الواحدة منها ١٦٠٠٠ طن . وبالإضافة إلى ذلك قامت شركة « يولاندا » (Yolanda) ، وهي إحدى كبريات شركات الحفر في العالم ، بإزاحة ما مقداره ٧٠ مليون طن من المواد المترسبة في قاع البحر في تلك المنطقة



تمهيدا لحفر قناة فيها يبلغ عمقها نحو ١٧ مترا . كما انشئت على بعد خمسة كيلومترات من « سان دورليغو » ساحة خزانات فسيحة تبلغ سعتها خمسة ملايين من البراميل ، يخزن فيها الزيت قبل أن يبدأ رحلته صعدا عبر خط الأنابيب . وفي « سان دورليغو » تدفع أولى محطات الضخ الخمس الزيت الى الشمال باتجاه سفوح مرتفعات الألب « الكارنيكية » ، على الحدود بين النمسا وإيطاليا . وتضم كل محطة مضختين كهربائيتين قوة كل منهما ٤٠٠٠ حصان ميكانيكي . وتستطيع هذه المحطات مجتمعة أن تضخ الزيت عبر خط الأنابيب الى ارتفاع يبلغ أقصاه ١٥٥٠ مترا عند أعلى قمم الألب . ومن هناك يبدأ بالانحدار التلقائي بفعل الجاذبية الأرضية . الى أن يبلغ مدينة « أنجولستادت » في آخر المطاف .

وتعترض طريق خط الأنابيب ، على الحدود ، هضبة « كارسو » الصخرية الصلدة الجرداء ، التي كانت منذ قرون غابة من أشجار غابات أوروبا . ومصدرا فريدا لأخشاب سفن روما وأساطيلها . ولذلك ، اضطرت الفينيون الى استخدام المتفجرات لاخترق تلك الهضبة على عمق مترين ونصف المتر تقريبا . حتى يتسنى لهم مد خط الأنابيب عبرها .

ثلاثة أنفاق

قبل أن يدخل خط الأنابيب الأراضي النمساوية . يمر من خلال ثلاثة أنفاق حفرت في جبال الألب . أولا نفق « بلوكين » الذي يبلغ طوله نحو سبعة كيلومترات والذي يرتفع حوالي ٩٥٠ مترا عن سطح البحر . وعند خروج الخط من هذا النفق ، يمتد نزولا في وادي نهر « دراو » الى أن يصل الى « لينز » مارا بالقرب من آثار مدينة « أغنتم » الرومانية التي تقع شرقي « لينز » ، ثم يستمر في امتداده الى أن يصل نهر « آيسل » ثم الى مدينة « ماتري » حيث تقع محطة الضخ الخامسة .

ومن هذه المدينة يمتد صعدا الى النفق الثاني وهو يقع في قمة « فيلبرتين ماسف » الشاهقة الارتفاع والتي تكسوها الثلوج طوال العام ، ثم يأخذ بالانحدار السريع مارا بوادي نهر « سالزك » فالمر المعروف باسم « تيرن باس » ليرتفع مرة أخرى فيدخل نفق « هاهنتكام » ، وهو النفق الثالث والأخير . والذي يرتفع نحو ١١٠٠ متر



- ١ - إحدى الجرافات الضخمة التي استخدمت في تمهيد الطريق لخط أنابيب « تال » في سفوح جبال الألب في إيطاليا .
- ٢ - قبل وضع الأنابيب في أماكنها من الخط ودفنها بالتراب تغلف بطبقة من الاسفلت تحول دون تآكلها .
- ٣ - كانت الأنابيب تغطى مؤقتا بقطع معدنية تحول دون دخول الحيوانات والأوساخ فيها .
- ٤ - إحدى البواخر أثناء تنزيلها حمولة من الأنابيب من قطر ٤٠ بوصة ، وقد استعملت ٤٠٠٠٠ اقبوبة منها في مد الخط .

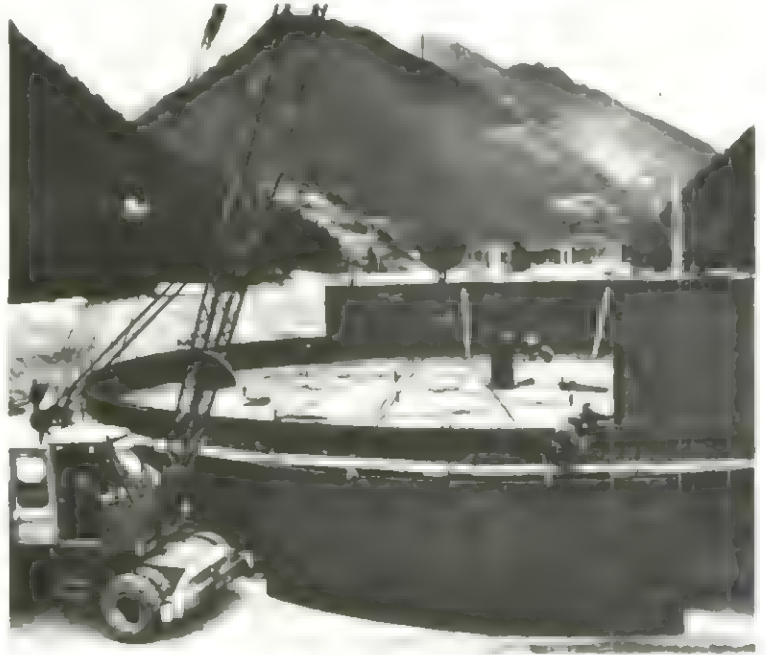
عن سطح البحر ، ويمتد مسافة تزيد على ستة كيلومترات . وبعد أن يجتاز الخط النفق الثالث والأخير ينحدر الى وادي « ان » مارا بالحدود النمساوية - الألمانية الى أن يصل الى مدينة « انجولستادت » في نهاية رحلته .

ولم يقصد لخط الأنابيب « نال » أن يتبع مسارا سهلا بين مدينة « تريستي » على الساحل الإيطالي ومدينة « انجولستادت » الألمانية ، لأن ذلك يعني الكثير من الدوران به حول الجبال ، ولكن قصد له أن يتخذ أقصر مسار بين المدينتين ، ولذلك فقد اعترضت مهندسيه عقبات ومصاعب كثيرة كان لا بد لهم ازاءها من بناء ١٥٤ نقطة تقاطع مع طرق رئيسية ، و ٦ نقاط مع خطوط سكك الحديد ، و ٣٦ نقطة مع أنهار كبيرة ، و ١٣٦ نقطة مع جداول ووديان صغيرة ، وقد كلفت هذه النقاط مجهودا كبيرا ونفقات اضافية باهظة . كما أن شق الأنفاق الثلاثة السالفة الذكر ، كان من أصعب المشكلات الفنية التي واجهها المهندسون في بناء خط الأنابيب « نال » . فقبل البدء بذلك ، جهد اخصائيو الكهوف في الكشف عن كهوف المناطق التي حفرت الأنفاق فيها ، للتأكد من أن أحدها

ينحدر خط الأنابيب الى منطقة سهول بقاريا الخضراء بين « سالبرغ » في النمسا ، و « ميونخ » في ألمانيا بعد اجتيازه جبال الألب .



ان اكتشاف الطرق الرئيسية في أوروبا بوسائل المواصلات يظهر مدى ما تحتاجه القارة من الزيت ، وسيكون لخط الأنابيب (نال) فضل كبير في تأمين ذلك .



أحد الصهاريج التي يجري بناؤها حاليا لتخزين الزيت الخام قبل ضخه في خط الأنابيب هذا .

لن ينهار نتيجة لأعمال التفجير العنيف التي اقتضتها الصخور الصلدة ، والتي كانت تجري في جهتي النفق في وقت واحد ، لتلتقي في وسطه بدقة بالغة . وقد قام بحفر الأنفاق الثلاثة فريق من الفنيين النمساويين الذين خبروا هذا النوع من العمل الشاق لسنوات طويلة ، ويبلغ امتداد هذه الأنفاق مجتمعة ٢٠ كيلومترا ، وقد استهلكت مئات الأطنان من المتفجرات . وتأخذ كل بوابة من بواباتها شكل حذاء الفرس . ويبلغ ارتفاعها أربعة أمتار تقريبا ، وعرضها ثلاثة أمتار ، وذلك لتمكين الفنيين من مد الأنابيب داخلها بسهولة .

ومع ان شق هذه الأنفاق كان بحق من أصعب العمليات التي واجهها المشرفون على انجاز هذا المشروع الضخم وأكثرها تعقيدا ، الا أنها وفرت الكثير من الجهد والتفقات . فلولاها لاضطر المهندسون الى رفع الأنابيب الى قمم جبال الألب الأمر الذي قد تنشأ عنه تعقيدات أخرى تستلزم جهودا وتكاليف اضافية باهظة .

اعمال تحضيرية

وقد سبقت عملية مد خط الأنابيب « تال » أعمال تحضيرية متعددة ، قام بها اخصائيو مالين واقتصاديون وظفتهم شركة « تال » أو الشركات المالكة لها قبل ١٨ شهرا من بدء العمل . كما أجريت دراسات اقتصادية وهندسية ، ومفاوضات مع الحكومات والهيئات المعنية . وأبرمت اتفاقيات مع الجهات الرسمية قبل بدء العمل في ربيع عام ١٩٦٥ . وقد بلغ عدد شركات المقاولات التي شاركت في مد خط الأنابيب « تال » ١٤٠ شركة بين نمساوية ، وفرنسية ، وألمانية ، وبريطانية ، وإيطالية ، وهولندية ، وأمريكية . كما اشتركت مصانع الفولاذ في كل من انمسا وإيطاليا في صنع الأنابيب والصهاريج الفولاذية ، بينما قامت شركة هولندية بحفر مرسى للناقلات في ميناء « تريستي » ، وشركات ايطالية ببناء الفرض وساحة الخزانات القريبة منها .

هذا ، وتوقع البلدان الثلاثة ، بأن يعود هذا الخط الجديد الذي يمر عبر أراضيها ، بمنافع اقتصادية كبيرة خلال السنوات العديدة القادمة ، وسيكون ذلك مختلفا بين بلد وآخر . ففي النمسا مثلا بلغ مجموع ما صرف من رأسمال خط الأنابيب نحو ١٠٠ مليون دولار أي ما يعادل



عمال الأنفاق يستعملون بالمتفجرات أثناء شق أحد الأنفاق الثلاثة التي يخترقها خط الأنابيب .

خطوط الأنابيب الفرعية ستقل الزيت من خط الأنابيب « تال » الى منطقة تقع حول « بورغوسن » الى معامل التكرير قرب « فوشهيم » . وهكذا ، بدأ الزيت منذ شهور قليلة يتدفق عبر خط الأنابيب « تال » . ساكنا وغير مرئي . في مسافات شاسعة من أوروبا الغربية ، حيث ترتسم على سطح الأرض أجمل المناظر وأبدعها . وحيث القمم تتبرج بالنور الأبيض الناصع . والسفوح بالشجر الباسق . والسهول بالزروع الأخضر . ولا تبدو للعين من آثار أعمال الانشاء الهائلة التي رافقت ميلاده . الا محطات الضخ وعلامات ارشاد الطائرات الى مسار الخط في الأمكنة التي يصعب الوصول اليها باستعمال وسائل أخرى .

عن مجلة « لامب » باذن خاص

أن خط الأنابيب (تال) سيبدأ الى مدينة « تريستي » الإيطالية مركزها التجاري ، كملتقى للتجارة الغربية والشرقية وكيناء من أهم الموانئ الرئيسية في أوروبا . ولذلك فإن الحكومة الإيطالية بالتعاون مع بعض الشركات المحلية تخطط لبناء حوض ضخم لاصلاح الناقلات والسفن الضخمة قرب تلك المدينة ، كما انها تخطط لبناء مصنع لانتاج محركات الديزل ، ومركز لبحاث الملاحة ، بالإضافة الى بعض المشاريع الأخرى . ويبلغ ما صرف من رأسمال خط الأنابيب (تال) في ألمانيا الغربية ، ٤٤ مليون دولار أي ما يعادل (١٩٨ مليون ريال سعودي) . وسيكون هذا الخط بالنسبة اليها مصدرا لتزويد منطقة الراين العليا ، و « بفاريا » بالزيت الخام حيث ستقام بالقرب من « انجولستادت » معامل تكرير جديدة بالإضافة الى معاملها الحالية . كما أن

٤٥٠ مليون ريال سعودي ، كان لها أثر كبير في انعاش الاقتصاد النمساوي . كما كانت حتى الخمسينيات من القرن الحالي تزود بالزيت من حقولها . الا انها الآن تعاني من نقص في انتاج تلك الحقول ، ولذلك فهي ستعوض عن ذلك النقص بالتزود من زيت « تال » عبر خط فرعي ستسهم في انشائه كل من شركة (جيرسي) والشركة النمساوية الحكومية للزيت وغيرها من شركات الزيت النمساوية المحلية . وستكون طاقته حوالي ٤٠٠٠٠ برميل يوميا ، الأمر الذي سيساعد على تطوير الصناعة النمساوية ، وعلى ضمان امدادها بحاجتها من زيت العالم الحر . وفي إيطاليا بلغ ما صرف من رأسمال (تال) ٧٢ مليون دولار أي ما يعادل (٣٢٥ مليون ريال سعودي) . كما أن المشروع ضمن توظيف ١٢٠٠ رجل في منطقة تريستي وحدها . ويمكن القول



كانت أعمال نقل المعدات وقطع الأنابيب تتطلب جهود العديد من المهندسين والفنيين، خاصة في المناطق الجبلية النمساوية .

أبو هلال العسكري

بقلم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

قلت في مقال سابق عن أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري .
نه يتفق مع أبي هلال العسكري في الاسم واسم الأب
وفي اللقب أو النسبة . فكلهما الحسن بن عبد الله العسكري نسبة
الى عسكر مكرم بالاهواز .

وان كان مما يجدر ملاحظته ان صاحب كتاب « الاعلام » ،
أورد نسب أبي هلال هكذا : « الحسن بن سهل بن سعيد بن يحيى
لبن مهران العسكري .. » بينما جاء نسبه في « معجم الأدباء » الحسن
ابن عبد الله بن سهل . ثم أكمل بقية النسب كما هو في
« الاعلام » .

ولقد فرق القدامى بينهما بأن قالوا : العسكري اللغوي . ويقصدون
أبا أحمد ، وهو السابق المقدم واستاذ أبي هلال . والعسكري الأدب ،
ويقصدون أبا هلال .

لم يعرف تاريخ ميلاد أبي هلال ، كما لم يعرف تاريخ وفاته بالضبط ،
الا أنه كان حيا الى عام ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) ، كما يروي صاحب معجم
الأدباء ، اذ قال في ترجمته : « أما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير
أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه ، وفرغنا من املائه
هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين
وثلاثمائة » .

و « أبو هلال » هو ابن أخت أبي أحمد العسكري ، وان كانت
بعض المصادر تروي صلة هذه القرابة بصيغة « قالوا » . وهي لا تفيد
الجزم . الا أنني شخصيا ميل الى الأخذ بها لما بين الرجلين من تشابه
شديد في الميول والاتجاهات مما يدل على أن أبا أحمد قد حبى أبا هلال
بالكثير من عطفه ، وان أبا هلال كان شديد التأثير بخاله ، فأخذ
عنه الكثير من ميوله العلمية حتى لقد كان ذلك ، الى جانب تشابه
الاسمين والقبين ، مدعاة للخلط بين الرجلين .

وكما كان أبو أحمد العسكري عزوفا عن الاتصال بالسراة ، كما
هو موقفه من « صاحب بن عباد » ، الذي كان يستزيه فيأبى
ويتعلل ، كان أبو هلال أيضا بعيدا عن مواطن الطمع والتكسب بعلمه
وأدبه . ولكي تتوفر له الحياة الكريمة فقد اشتغل ببيع البز ، وان كان
قد شعر بالمرارة لما آل اليه حاله من قلة ورثاة . مع اصالته في العلم
والأدب والحج ، وقد عبر عن هذه المرارة في أبيات من الشعر دلت
على عمق استيائه :

إذا كان مالي مال من يلقط « العجم »

وحالي فيكم حال من حاك أو حجم

فأي انتفاعي بالأصالة والحجى

وما ربحت كلني من العلم والحكم

ومن ذا الذي في الناس يصير حالتي

فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم

أو يقول عن قومه وحاله بينهم :

ولا خير في قوم تذل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويجهوهم عني وثلاثة كسوتي هجاء قبيحا ما عليه مزيد
وقد طلب للأستاذ « خير الدين الزركلي » في كتابه « الاعلام »

عند ايراد ترجمة أبي هلال ، ان يورد ما كتبه عنه « الباخريزي » في
« دمية القصر » ، حينما استعرض أسماء لامعة في الأدب العربي ممن
احترفوا الصناعة والتجارة ، كنصر بن أحمد الخبزري ، الذي كان
يدحو الأرزية . وأبو الفرج والأواء الذي كان يسعى بالفواكه ويتغنى
بها ، والسري الرفاء ، الذي كان يرفو الخرق .

دلتنا الأبيات التي وردتنا عن أبي هلال على تأصل الموهبة
الشعرية عنده . ولا غرو ، فأبو هلال شاعر ، له في
الشعر ديوان ، الا أن الانصراف الى علم الأدب واللغة ، بل والفقه
والتفسير والتأليف في كل ذلك صرفه عنه بعض الشيء . ومع هذا
احتفظ شعره بالمسحة الفنية الأصيلة . فلتأمله ينعي الشباب الذي ذهب ،
ويهاب المشيب الذي أتى ، لأن أحدهما ذهب فلن يعود ، ولأن الآخر
جاء ليقيم ، فلا يذهب الا مع صاحبه :

قد تخطاك شباب وتفشاك مشيب

فأنى ما ليس يمضي وفضى ما لا يؤوب

فتأهب لقيام ليس يشفيه طبيب

لا توهمه بعيدا انما الآتي قريب

وأما أشهر مؤلفات أبي هلال العسكري ، فكتاب « الصناعتين » ،
النظم والنثر ، وهو كتاب مشهور جدا ، ويعتبر من كتب النقد ،
في الأدب العربي القديم . وله في الأدب أيضا « جمهرة الأمثال » وهو من كتبه المطبوعة .
و « شرح الحماسة » .

ومن مؤلفاته القيمة معجم مخطوط ، وكتاب « التلخيص » و « الفرق
بين المعاني » و « ما تدح فيه العامة » و « الفروق » و « ديوان المعاني »
و « الحث على طلب العلم » و « الأوائل » . وقد قال صاحب « كشف
الظنون » أن أبا هلال أول من صنف في الأوائل ، وعلى رسالته هذه
بنى السيوطي كتابه « الوسائل الى معرفة الأوائل » .

وله أيضا « العمدة » و « المحاسن » وهو من كتب التفسير ، و « من
احتكم من الخلفاء الى القضاة » و « التبصرة » و « التفصيل بين بلاغتي
العرب والعجم » و « أسماء بقايا الأشياء » و « المصون » وقد تولت
اخرجه حكومة الكويت ، و « فضل العطاء على العسر » و « الدرهم
والدينار » و « نوادر الواحد والجمع » .

وخلاصة القول أن أبا هلال العسكري ، كان أحد أعلام الأدب
والنقد واللغة . وكان الى جوار ذلك فقيها ومفسرا وشاعرا ، وقلمنا تجتمع
مثل هذه الصفات في شخص الى درجة الاتقان والجودة .

مخطئ الشراق

المقعد المستطيل ، فأخذته العجوز بين ذراعيها ، ومضت تتصبب ، وتأوه ، مهتزة الرأس ، مرفوعة البصر ، كأنها تدعو الله بعينها الثابتين الخامدين .

وعزّ على كمال أن يرى جدته تتألم على هذه الصورة . فتملص منها بغتة واندفع نحو أمه ، وصاح :

— حرام عليك . ان جدتي مسكينة ، وأنا أحبها أكثر منك .

وضرب الأرض بقدمه ، وأردف متحديا :
— سأقول كل شيء لوالدي . سأقول له ان الست « فتحية » تأتي الى هنا في غيبته .

وأسرع يحتمي بجدته العمياء . فلم تمهله أمينة ، وانقضت عليه ، وقالت وهي تهدر :
— اياك .. اياك أن تفتح فمك وتتكلم .

صفعته . وشقق شهقة طويلة .
فأرسلت الحدة صوتا مزقاً ، خيل معه الى أمينة أن ابنها قد اختنق . ولكنها لم تكذبصره ، وقد فتح عينيه ، حتى انقلب سخطها الى فرح ، فضمته الى صدرها ، وقبلته ، وشرعت تمسح بيدها على شعره وتلاطفه .

وفتحت درج خزانها ، وأخرجت علبة حلوى ، أعطته منها قطعتين ، ثم قطعة ثالثة .
ولما أبرقت أساريه ، واطمأن اليها ، ونسي في لحظة كمادة الأطفال ، ما أصابه منها ، رددت أمينة في أذنه هامة :

— لا تتكلم . اياك أن تتكلم .. اياك أن تقول شيئا لوالدك ..

فلم يحفل الصبي بها ، واستغرقه التهام قطع الحلوى ، وجعل يدور على عقبيه جذلان وهو يضحك . وتنفت أمينة مرتاحة ، وكرت راجعة الى النافذة . وقيل أن تصل اليها رن جرس الباب الخارجي . فتהלل وجهها ، وقالت لأُمها :

« أمينة » تحديق الى الشارع من حد خاص النافذة ، وأُمها العجوز العمياء متربعة على مقعد مستطيل في فسحة البيت . تضم الى صدرها حفيدها « كمال » ، البالغ من العمر ست سنوات ، وتتحنس أعضاء الغالبة ، لتستطيع أن تقبض على إحدى يديه الناعمتين ، وتطبع على أطراف أصابعها الصغيرة قبلة . وكان « كمال » يداعب جدته ويروغ منها ، ويجذب يديه في خبث ، ثم يمددهما في هدوء ، ثم يسرع فيجذبهما . وهو يضحك ويقهقه .

وضافت « أمينة » ذرعا بضحكه المتواصل ، فالتفتت اليه وانتهرته . وأحست العجوز من مأنى الصوت أن ابنتها واقفة بقرب النافذة ، فانقضت وتجهم وجهها ، وتخلت عن الطفل ، وهمت بالنهوض .

وعادت « أمينة » تحديق من خصائص النافذة مثلهفة ، وقد عيل صبرها .

وفجأة نهضت العجوز العمياء ، وسدت ذراعيها الضامرتين ، ومشت الى حيث منطلق الصوت ، تجر قدميها في حذر .

ولما دنت من النافذة ، واستشعرت أمامها كيان ابنتها . ألقت بنفسها توا عليها . وأمسكت بها قائلة :

— اغلقي النافذة حالا .. آن لك أن تثوبي الى رشذك .. لن أسمع أبدا بأن تدخل تلك المرأة بيتنا ..

فصاحت أمينة :

— المرأة صديقتي ، والبيت بيتي . وأنا حرة فيه . فتولت العجوز رعدة وقالت :

— وأنت بهذا تلعرين بيتك ..

وتعثر العجوز ، فأسرع اليها الصبي كمال ، واحتضنها في رفق . واتجه بها على مهل صوب

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

— انها الست فتحة قد أقبلت .. فاما أن تحسني استقبالها ، واما أن تسرعى بالانزواء في غرفتك . فقالت العجوز في حزم :
— لن أخرج من هنا .

فهزت أمينة كنفها غير مكتثرة ، وهولت لاستقبال صديقتها الوجهة الأثيرة الحساء . ودخلت الست فتحة ترفل في ثوب حريري أزرق موثى بزهور بيضاء ، ورأسها الشامخ يتمايل كبرا وزهوا ، وشعرها الأسود المصنف يلعب فيه مشبك ذهبي ، وقراطها الماسيان يشع منهما بريق ساطع ، وأساورها الذهبية تتألق وتخشخش في معصمها ، وهي تحتضن صديقتها العزيزة أمينة وتقبلها .

وتراجعت أمينة مبهورة ، وراعتها اناقة صديقتها وصاحت :

— أهلا .. أهلا .. ما أجملك اليوم يا فتحة وأشد اناقتك .

فابتسمت المرأة بعينها الناعستين ، ومشت الى العجوز وهي تختال تيتها وعجبا . ثم أخذت يد العمياء في رفق ، وقالت :

— ليلتك سعيدة يا خالتي حسنة .. لعلك بخير ؟ ثم أرادت أن تبالغ في التودد والأدب ، فرفعت اليد وقبلتها في احترام . فانتفضت العمياء ، وازداد محياها الصلب تهجما ، فظلت الست فتحة ممسكة بيدها ، تستفسرها عن صحتها ، وتفرق في اللطف معها والاهتمام بها .

وأيأسها منها جمودها الصارم ، هزت رأسها آسفة ، وهمت بأن تجذب يدها من يد العمياء . ولكن هذه تشبت باليد فجأة ، وأبقتها في يدها . فاضطربت فتحة ، وحدقت إليها . فأدنت العجوز منها وجهها المتغضن العابس ، واستجمعت قواها ، وقالت ، وهي تحاول أن تلطف من حدة عباراتها جهدها :
— لقد كنت أول أمس هنا يا فتحة ، وبالأمر أيضا كنت هنا ، ولا ريب أن زيارتك المتعاقبة تشرنا ، ولكنك تعلمين ، وأنت سيدة ذكية ، أن زوج ابنتي ..

فاحتضن وجه المرأة وقاطعتها قائلة :

— لا أفهمك . ان سالم أفندي لم يرضق أبدا بزياراتي ، وهو دائم الترحيب بي .

فندت عن العجوز ضحكة ساخرة وقالت :

— ما كنت أظنك ساذجة الى هذا الحد .

فقالت الست فتحة ، وهي ترتجف :

— اذن فسالم أفندي يتبرم بمجيئي هنا ؟

فأجابت العجوز بصوت قاطع :

— نعم .

فاندفق الدم الى وجه فتحة ، واستدارت من فورها ، وهمت بالخروج . فأسرعت أمينة وتعلقت بها ، وصاحت في أمها مستنكرة :

— لست صاحبة الأمر والنهي في بيتي . ان فتحة صديقتي ، وهي امرأة شريفة ، وأنا لن أتخلي عن صداقتها .

فقالت العجوز :

— يجب أن تكف الست فتحة عن زيارتنا . فازداد وجه المرأة احتقانا ، وكبر عليها أن تهان بمثل هذه الصورة ، فلم تنطق بكلمة واندفعت نحو الباب . فتبعها أمينة وتعلقت بها . ولكن فتحة تملصت منها في عنف ، ومرفت الى الخارج شامخة مستعلية .

وعندئذ انفجرت أمينة غاضبة وطفقت تصيح :

— هذا كثير .. كثير جدا .. لم أعد أحتمل .

واذا كان زوجي يظلم صديقتي ، ويحرم علي الاتصال بها ، فأنت تظلمينها مثله ، رغم علمك أنها شريفة ، وتظلميني أنا أيضا . لا لن أمنع فتحة من دخول بيتي ، وسأستقبلها وفي غيبة زوجي ، وعليك أنت أن تصمتي .

وتحولت نحو ابنها وأردفت :

— وكذلك أنت اياك أن تتكلم ... اياك أن تقول أن فتحة كانت هنا .

فانكمش الصبي .

وأرسلت أمينة نفسا مستطيلا ، وخرجت تعد لزوجها طعام العشاء ، بينما كانت العجوز الكفيفة تهز رأسها متحسرة ، وتشيع ابنتها بعبارات ملوها التحذير والالذار .

ودخل سالم أفندي متعبا منهوكا ، مقترح العينين من فرط الكتابة ومراجعة الحسابات ليلا في المتجر الكبير ، حيث يشتغل ، وارتمى على مقعد ، بعد أن ألقى بتحية المساء وطلب الى زوجته طعام العشاء .

فصفق الصبي كمال فرحا بمقدم والده ، ووثب اليه ، وطوق ساقه بلذراعيه ، فحمله سالم أفندي ، وأجلسه على ركبته ، وقبله ، فابتسم كمال ، وقال في لهفة :

— ما الذي جئتني به يا بابا ؟ !

الوالد وقبل ابنه ثانية ، ثم غافله وتناول علبه كان قد أخفاها تحت المقعد ، وفتحها ، وأخرج منها طائرة صغيرة ما أن وضعها على الأرض حتى تحركت وأزت وجرت مسرعة . كأنما هي

توشك أن تطير . فبهت الصبي ولاحق اللعبة مهللا . ولكنها جمدت فجأة أمامه . فانحنى عليها وأخذها بيده ، وطفق يعالجها حتى عادت وانطلقت ، فصفق منتصرا وصاح :

— انظر .. انظر يا بابا .. لقد عرفت سرها . انها تجري .. تجري .

وبغتة . وفي غمرة فرحه . وكأنما هو أراد أن يدخل السرور أيضا على قلب والده يطمثه . التفت اليه وقال :

— تعرف يا بابا .. لم يزرنا اليوم أحد .. لسم يدخل بيتنا اليوم أحد .

فتطلع اليه سالم دهشا . وأجفلت العمياء ، وأشاحت بوجهها . وارتجفت يد أمينة وكاد الطبق الكبير يسقط منها . فأجال سالم البصر حوله ، وملكته اليأس وقال :

— من جاء اليوم لزيارتنا يا أم كمال ؟

فأجابت أمينة وهي ترتب المائدة :

— لم يدخل البيت انسان .

فتفرض الزوج في العمياء ، فألفاها جامدة كالصنم . فتحول الى ولده ، فرآه يخالس أمه البصر وينكمش ، فأثاره هذا السكون المريب وردد :

— من جاء اليوم لزيارتنا ؟

فصاحت أمينة محنقة :

— قلت لك لم يزرنا انسان .

فاستدار الزوج ورشق ابنه بنظرة ، فألفاه يحلق الى أمه ، ويزداد انكماشا . فأمسك به ، وقال وهو يهزه من ذراعه :

— من الذي جاء هنا يا كمال ؟

فدعر الصبي ، وطوى رأسه على صدره ، وتمتم :

— لا .. لا أحد ...

فحدجه سالم بنظرة ثاقبة ، وأردف :

— اذن هات الطيارة .

فدفع بها الصبي اليه وقال :

— خذها .. لا أريدها ..

فارتجف سالم . وكبر عليه أن يشعر بجمزه عن معرفة حقيقة مربية ، أحس أنهم يريدون اخفاءها عنه ، وأن ولده نفسه يتحدها ويتواطأ معهم على اخفائها . فاشتد انفعاله ، وبالرغم منه رفع كفه ولطم الصبي . فأجهش كمال بالبكاء ، وانخلع بدن العجوز ، وروع أمينة واحتضنت ولدها . ولكن زوجها عاد فأمسك به . فانزعته منه . ودفعت به الى حجرة جدته ، وأرقده على فراشه وهي تطيب خاطره ،



ثم كرت راجعة ، ووجهت زوجها متحدية مغامرة وصاحت :

— ضربت الطفل ليتكلم .. لن تضربه بعد الآن .. ها أنا أقول لك الحقيقة .. الست فتحة كانت هنا فامتقع وجه الرجل ، وقال :

— ألم أحرم عليك أن تتصلي بها في الخارج أو تستقبلها هنا ؟

فشمخت أمينة برأسها ، وقالت :

— وما ذنبي .. لقد جاءت من تلقاء نفسها . فهل كان يجب عليّ أن أكون مجردة من اللياقة والأدب فأطردها ؟ لن أطردها .

فصرخ :

بل يجب أن تطردها . أهي من بيتنا ؟ أهي من وسطنا ؟ انها وان تكن مستقيمة المسلك شريفة ، الا أنها امرأة أخطر من الخليعات المبتذلات أنفسهن . انها مفتونة بالمظاهر مجنونة بحب الجاه والترف ، لا وزن للمال عندها ، تددده وفق مشتياتها ، وتعتصر زوجها الثري اعتصارا دونما وازع من خلق أو ضمير . أنسيت ما أحدثه تأثيرها الويل في السيدة نعمات صديقتها ؟ ! لقد كانت السيدة نعمات زوجة رجل ثري أيضا ، فما زالت بها الست فتحة ، تزين لها الاغراق في التمتع بأسباب الترف حتى أنشبت نعمات في زوجها مخالبا ، واستنزفت ماله وساقته الى الخراب . وكذلك فعلت بصديقتها فوزية ، والهام . فأية كارثة يمكن أن تجلبها تلك المرأة علينا اذا أمعنا في الاتصال بها وأصابتنا عدوها ، ونحن قوم نعيش من كدنا ونأكل خبزنا بعرق الجبين ؟ ! اننا سنعجز ولا ريب عن مجاراتها ، وعندئذ نطلب العز والجاه بضمن غال . لهذا أردت أن تقطعي أنت كل صلة لك بها . أردت ذلك حرصا عليك وضنا بك وصونا لكرامتي ورجولتي . ولكنك عصيت أمري مرات ، واستقبلت تلك المرأة اليوم أيضا في غيبتني ، وكذبت عليّ ، ولوثت فوق ذلك نفس ولدي ، وعلمته القش والنفاق . فأنا قد صبرت طويلا ، ولم يعد في مقدوري أن ظل صابرا ، وما دمت أنت متطلعة الى حياة البذخ التي ليس في وسعي أن أحققها لك ، ومشبّهة بتلك الصديقة الخطرة التي جعلت منها مثلا وقدوة ، والتي لا بد أن تخنق في نفسك كل احساس بالكرامة ، وقد تنحدر بك الى مهوة التبذل والضياع ، فتشبي بها ما شئت ، واستندعيها كما يحلو لك . أليس هذا البيت بيتك ؟ وكل ما فيه ملك لك ؟ وقد ورثته

عن والدك ؟ . اذن فما أنا الا ضيف عندك .. رجل دخيل ، فامرحي في البيت منذ اليوم على هواك . أما أنا فلن أبقي هنا لحظة واحدة . وفي غد .. أتسمعين .. في غد ، أنفذك مني ومن فقري ، وأبعث اليك بورقة الطلاق ، ولو تحملت في هذا السبيل حرقة البعد عن ولدي . وأردف وعيناه تتقدان :

— تعالي .. وابحثي لي عن حقيتي ، واجمعي فيها على الفور متاعي .

فتوقفت أمينة لحظة وارتعشت . أبصرت أمامها فراغا ، فراغا عميقا ، فراغا أسود مدلما يقبل عليها ويكاد أن يجرفها ويطويها . ولكن كبرياءها كانت أقوى منها ، وأقوى من خوفها ، وأقوى من الكوارث والنكبات التي قد يخبئها المستقبل لها . فاندفعت الى المخدع وهي تهذر ، وتبعها سالم بخطى ثابتة عازمة .

مس الغرفة صمت زافر . وأحست العمياء أن الكارثة وشيكة الوقوع ، وأن البيت مهدد بالخراب . وأن ابنتها الوحيدة ، ابنتها الطائشة الغريبة ، لا بد أن تستهدف غدا لشر ضروب المهانة والاذلال . فهلح قلبها ، وظلت تحديق الى القضاء بعينها الخاويتين ، وفكرها يتلهب ، وخيالها يضطرم . وبدنها يرتجف . أرادت أن تفعل شيئا ، أن تقوم لغورها بأي شيء . وفجأة ، وكما ينشع الضباب وتشرق الشمس ، أشرقت روحها ، واستضاءت بصيرتها ، ولعت في ذهنها المتألق فكرة .. فكرة بسيطة كانت آخر سهم في جعبتها . فلم تنتظر ولم تتمهل . وعلى هدي قلبها وروحها وفكرتها ، انطلقت نحو الباب الخارجي للبيت ، ومشت اليه بخطى وثيدة نيرة ، وأحكمت اغلاقه بالمفتاح ، ثم انزعزت المفتاح ، وتحولت في لفظة وحذر ، ودخلت حجرتها النائية حيث يرقد حفيدها كمال . وبعد أن مكثت في الحجرة لحظة ، انسلت منها الى فسحة البيت . وعندئذ خرج سالم أفندي من مخدعه متبوعا بامرأته .. خرج وحقيتته في يده ، وسورة الغضب ما زالت تتأجج في عينيه ، واندفع اندفاعا الى باب البيت الخارجي ، كأنما هو يريد أن يستعمل الفرار ليتخلص . بيد أنه ما كاد يحرك مقبض الباب ويهزه ، حتى ألقي الباب موصدا ، فصاح يطلب المفتاح ، فدهشت أمينة ، ولبت تحديق الى الباب المغلق واجمة حائرة . فعاد سالم أفندي ، وصرخ يطلب المفتاح ، ثم ذكر ولده ، وتنبه فجأة الى أن لم يره ، ولم يودعه . فوضع الحقيبة

على الأرض ، وأسرع الى حجرة الطفل النائية . فأسرعت خلفه أمينة على الرغم منها . أسرعت متعثرة مختبلة . لا تكاد تصدق أن كل شيء بينها وبين قريبها قد انتهى على هذه الصورة .. وفي لحظات .

مس ان توسط الوالد حجرة الطفل . وشخص الى فراشه المتزوي في أحد أركانها ، حتى ذهل وجد . أبصر ابنه كمال ممددا على الفراش ، ونور المصباح منصبا عليه .. يغط في نومه ، ويضم بين يديه الصغيرتين مفتاح الباب .

فنظر الى امرأته مبهوتا ، ونظرت اليه . أراد أن يعد يده ليتزع المفتاح ، ولكنه لم يستطع . أما أمينة فتقدمت وأنعمت النظر في ابنها . وفي مثل لمح الطرف جاشت عواطفها ، وذاب حنقها ، وأضمحل كبرياؤها ، وتحركت أمومتها ، وتفتح قلبها ، واستيقظ عقلها وضميرها . آمنت أن شيئا خفيا قاهرا قد ألهم ابنها الصغير الطاهر وأوحى اليه ما فعل ، فاختلجت ورفعت يديها ، وتركتهما تسابان في رفق وتلمسان كتف زوجها ، وغمغمت :

— سالم ..

فانتفض الرجل ، وعجل صبره . وانحنى على الصبي النائم ، ليتزع من يديه المفتاح بقوة . بيد أن أمينة التصقت به ، وردت يده . وقالت في صوت مليء خفيض ، وعيناها مثبتتان في عينيه :

— لأجل كمال ابنا الوحيد وأجلك أقسم لك أن الست فتحة لن تدخل بيتنا الى الأبد ، دع الولد في نومه ولا توقظه .

فقطع اليها الزوج ، فألفاها تنظر الى ابنها في وله ، وتنظر اليه هو بعينين كبيرتين زاخرتين بالرجاء والتوسل والندم .

فأطرق الرجل برأسه مرتبكا . فجذبته المرأة من ذراعه في هدوء ، ودفعت به الى فسحة البيت حيث كان الطعام ما زال معدا للعشاء . فومقها بنظرة متفحصة ، وتردد لحظة . ولكنه وقد تأثر بصديق ندمها المائل في عينها ، لم يسعه الا أن ينساق اليها .. وهو يدمدم .

ولما جلس الواحد منهما الى المائدة تجاه الآخر ، أحست العجوز العمياء بفرحة لم تشعر بمثلها ، فأسرعت ودخلت حجرتها ، ودست نفسها في فراش الطفل ، ثم احتضنته في رفق ، وتحسست أعضائه الغالية ، وجعلت تقبل يديه الصغيرتين المضمومتين على المفتاح .

ندرة القبيس المختصر عن القتب

كثير من الباحثين اهتماما كبيرا بالكتب الأصلية التي
دوتت طلائع العلوم ، وحوت المبادئ الأولى في
الآداب والفنون ، مما ألفه العلماء وأعيان المصنفين وأودعوا فيه معارفهم
عن طريق الرواية والتلقي ، أو المشاهدة والمشاركة ، أو مما حفظوه في
حلقات الدروس ومجالس المناظرات ، أو وقع لهم من تجارب وحدثوه
من آراء . انهم يرون في هذه الكتب المنابع الصافية والأساليب المشرقة
الرصينة ، والأهداف الواضحة ، في غير حشو أو فضول ، ولهذا
يتدافعون الى البحث عنها ، ويتنافسون في اقتنائها أو تحقيقها ونشرها .
ويغمر قراء العربية والمشتغون بثراتها الغبطة والبهجة حينما ينشر كتاب
نادر ، أو يحقق مخطوط قديم .

وكانت تراجم الأدباء واللغويين والأخباريين والنسابين وعلماء النحو
من أهم ما عني به المصنفون القدماء ، فدوتوا تاريخ حياتهم ، وحددوا
أعمارهم ووفياتهم ، وأحصوا كتبهم وآثارهم ، وتبعوهم في رحلاتهم ،
وعاشوا معهم في أنديةهم ومجالسهم ، اذ كان منهم الذين وضعوا
أصول النحو والصرف والرسم والاعجام ، ومنهم الذين رويوا الأبيات
السائرة ، والقصائد الرائعة ، وميزوا الجيد من الزائف ، والصحيح من
المنحول ، وفضلهم حفظ على الأيام أسمى ما صدر عن القرائح ،
وأفصح ما نضحت به أخيلة الشعراء .

ومن أوائل من صنف في هذا الشأن - على ما ذكره ياقوت وغيره -
أبو العباس المبرّد ، وأحمد بن يحيى المعروف بشعلب . ومحمد
ابن عبد الملك التاريخي ، وابن درستويه ، وأبو سعيد السيرافي ،
وأبو الطيب اللغوي ، ومحمد بن الحسن الزبيدي ، وأبو البركات
الانباري المعروف بالكمال ، وقد ضاع كثير من آثار هؤلاء ولم
يسلم منها الا القليل .

ومن هؤلاء المصنفين الذين غنت العربية بمؤلفاتهم ، وجالوا في
شتى ميادين الآداب بأقلامهم أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني .
وكان أبوه نائب خراسان ، فنبت في منزل نعمة ورفاهية ، وعاش في
أزهى العصور الاسلامية وأخصبها ، ونشأ في بغداد حاضرة الدنيا ،
وبستان العالم ، وملتقى العلماء والأدباء والشعراء ، ممن نزع إليها من
مختلف الجهات ، ثم أخذ عن شيوخها وأفاضل رجالاتها . ولما استحصدت
مرته ، وارتفع شأوه ، لزم منزله ، فشددت إليه الرجال ، وقصدت من
أقصى البلدان ، ثم عزف عن مجالس الملوك والأمراء وذوي السلطان ،
وانقطع للتأليف والتصنيف ، وصدر عنه من الكتب أنفس ما ألف في
العربية ، وأحسنها تنسيقا ، وأوضحها تعبيرا . أحصى منها ابن النديم

تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني
اختصار: يوسف بن أحمد بن محمود اليعقوبي
تحقيق: رودلف زعيم

عرض وتعليق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم

أكثر من خمسين كتابا ، لم يصل إلينا منها سوى كتاب الموشح فيما أخذه العلماء على الشعراء ، ومعجم الشعراء ، وقطعة مخطوطة من كتاب أخبار النساء مودعة في دار الكتب المصرية ، أما باقي كتبه فقد ذهبت بها عوادي الأيام .

هذه الكتب كتاب « المقتبس في أخبار النحويين واللغويين والأدباء والعلماء » ، ذكره ياقوت في معجم الأدباء في معرض الكلام عما ألف في تراجم النحويين والأدباء فقال : « ثم صنف فيه أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني كتابا حفيلا كبيرا على عادته في تصانيفه ، إلا أنه حشاه بما روه ، وملاه بما وعوه ، فينبغي أن يسمى مسند النحويين ، وقد وقفت على هذا الكتاب ، وهو تسعة عشر مجلدا ، ونقلت فوائده إلى هذا الكتاب » : وقال القفطي في الانباه ، في معرض الثناء على المرزباني : « كان جميل التصانيف كثير المشايخ ، تمتع المحاضرة والمذاكرة ، مقدما في الدول وعند أهل العلم ، وهو وإن لم يتخصص بعلمي النحو واللغة فقد ألف في أخبار جامعها ومصنفها والمتصدرين لأفادتها كتابا كبيرا سماه المقتبس ، يقارب العشرين مجلدا ، وذكر في أثنائه من المسائل النحوية والألفاظ اللغوية ما يعد به من أكبر أهله » .

وكانت أمنية عزيزة عند الباحثين ، وأملا منشودا عند المهتمين بتراث العربية أن يقع لهم هذا الكتاب ، بعد أن قرأوا الموشح ، ومعجم الشعراء ، وراقهم ما فيهما من تناسق التبويب وانسجام التأليف مع عذوبة المورد وحسن الأداء .

وعلى امتداد الأمل ومضي الأزمان ظهر أن هناك ثلاثة كتب وردت شرعة هذا الكتاب ، واستقت من معينه ، أولا كتاب المختار من المقتبس ، جمع فيه مؤلفه أخبار طائفة من النحويين نقلها من كتاب المقتبس ، وأضاف إليها ما اختاره من كتاب الأوراق للصولي وكتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدي وغيرهما ، ولم يعرف شيء عن مؤلف هذا المختار سوى اسمه المكتوب على صفحة العنوان : « محمد بن حسن ابن معالي » ، ومنه نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة شهيد علي باشا « استانبول » .

وثانيهما كتاب « المنتخب » للإمام بشير بن حامد بن سليمان التبريزي ، أحد أعيان القرن السابع ، وكان معيدا بمدرسة نظام الملك في بغداد ، واطلع في خزائنها على كتاب المقتبس بخط مصنفه ، قرأه مليا بالطرائف والنوادر وغرائب الأخبار ، ومنثور المسائل ومتنوع المعارف ، فكتب كتابه هذا على نهجه إلا أنه أثقله بالأسانيد وطرق

الروايات ، فجرده مما لا فائدة فيه من هذه الأسانيد ، دون أن يخل بترجمة واحدة من تراجمه ، وسماه « شهاب القيس من المقتبس » . ضاع هذا الكتاب أيضا كما ضاع أصله ، ولكنه قبل أن يضيع أو يختفي ، وقع للعالم المؤرخ يوسف بن أحمد المشهور بالحافظ اليعموري المتوفى سنة ٦٧٣ هـ وكان ، كما يقول ابن تغري بردي ، أديبا فاضلا مشاركاً في كثير من العلوم والفنون ، فنقل من كتاب المنتخب أحسن ما فيه مع المحافظة على ترتيب الكتاب ، وذكر جميع تراجمه ، وسماه نور القيس المختصر من المقتبس ، ومن هذا المختصر نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة « بمكتبة نور عثمانية باستانبول » .

ويدور هذا المختصر ، كما يدور أصله ، على مقدمة ، وثلاثة أبواب : مقدمة في الحث على طلب العلم وتقويم اللسان وابتداء أمر النحو ومن تكلم فيه . ويحوي الباب الأول ذكر ابتداء تخطيط البصرة ونزول المسلمين فيها ، وتراجم علمائها . ويشتمل الباب الثاني على ابتداء أمر الكوفة ونزول المسلمين فيها ثم ذكر علمائها . وكسر الباب الثالث على أخبار مدينة السلام واختطاط أبي جعفر المنصور لها ، ثم ذكر علمائها ومن وفد إليها ، وذيل الكتاب بفصل عقده لأخبار النسائين : دغفل بن حنظلة ، وأبو ضمضم البكري ، والنخار العدري ، ووهب بن منبه ، قم له من ذلك ١٥٠ ترجمة ، تضمنت عصارة ما اشتملت عليه أخبار العلماء والأدباء والقراء في عواصم المشرق ، في القرون الأربعة الأولى ، من ابتداء وضع النحو في عصر أبي الأسود الدؤلي ، وجمع اللغة على عهد الخليل ، ورواية الشعر والأدب منذ أبي عمرو بن العلاء ، إلى عصر المؤلف . ثم وشأه بغرائب الأخبار ورائق الأشعار ، وشائق المساجلات مما تناقله الرواة ، وتوسمعه به في الأنندية ، أو أثير في مجالس الخلفاء والأمراء ، إلى ذكر المواليد والوفيات ، والاستطراد إلى المسائل اللغوية والخلافات النحوية ، ما لم يجتمع في كتاب . وكانت قيمة هذا الكتاب عند العلماء والباحثين هي التي شحذت همة العالم الضليع الأستاذ « رودلف زلم » ، أفضل من عرفناه من المستشرقين اطلاعا على العربية وآدابها ، وأقدرهم على الكتابة فيها والتحدث بها ، ودعته لأن يعنى بتحقيقه ونشره ضمن ما تنشره جمعية المستشرقين الألمانية من نفاثات التراث العربي ، مثل مقالات الاسلاميين للأشعري ، والوافي بالوفيات للصفدي والمقنع في القراءات لأبي عمرو الداني وغيرها .

وقد بذل الأستاذ المحقق أوسع الجهد في اعداد الأصول والرجوع إلى دواوين الشعر وأمهات كتب اللغة والتاريخ ، مما ظهر أثره في

التعليقات والخواشي . ووضع لنفسه طريقة منهجية سار عليها ، قال في مقدمته للكتاب :

« ولقد اعتمدت في تحقيق المختصر على المخطوطة الوحيدة . وهي المرقمة في « نور عثمانية » برقم ٣٣٩١ ب . وقد عارضت روايات المختصر بأشباهاها من الروايات الواردة في الكتب الأخرى وصححت في الهامش أخطاء النص وهفواته ، ونهت أيضا إلى روايات المرزباني التي تختلف عن روايات الدواوين وغيرها ، وعارضت ذلك بنظائره ، ولم أنبه إلى الروايات التي تفرد بها المرزباني . إلا إذا كان في التنبيه إليها فائدة لفهم النص أو التعرف إلى أسناده . أو إبراز لها وتميز عن سواها من الروايات . أما خصائص الرسم وما شذ منها عن المعتاد فقد صححتها دون الإشارة إليها في الهامش » .

وللكتاب بمقدمة مستوعبة وأعية ، تحدث فيها عن المرزباني ومنزلته بين العلماء ، ووصف مخطوطتي المختار والمختصر ، وصفا دقيقا ، ووازن بين المقتبس والمختار والمتنخب والمختصر موازنة اتصحت بها معالم كل كتاب . وأوضح مذهبه في الشكل ، والرسم ، وطريقته في تنسيق الفقرات ، ووضع الفصولات ، ومنهجه في التعليق ، في أسلوب علمي واضح . ثم صنع له الفهارس العلمية التي عيّدت للباحث الطريق . وبكل هذا الجهد ، وما صحبه من صدق النية جاء الكتاب بهذه الطبعة الرائعة في أقرب صورة إلى الكمال ، واستحق المحقق من قراء العربية أطيب الثناء وأكرم التقدير .

هذا ، وقد عن لي بعض الملاحظات فيما قرأت من الصفحات ، وهي — — — ان صحت — تكون أقرب إلى الاستدراك والتعليق ، وأدنى إلى المشاركة في التحقيق ، أذكر منها ما يأتي :

١ — ص ١٦ من المقدمة : « أخبرنا الخ ؟ الصالح » ويبدو أن الصواب : « أخبرنا الشيخ الصالح » ، ويحذف الاستفهام . وورد أيضا في هذه الصفحة « جلال الدين ابن ؟ اسحاق ابراهيم » والصواب : « جلال الدين أبو اسحاق ابراهيم » ، ويحذف الاستفهام أيضا ، ففي الغالب أن هذه الكنية في الأساليب العربية تكون لمن اسمه ابراهيم . وفي أول ص ١٧ من المقدمة أيضا : « ابن ؟ عمرو بن عثمان » والصواب : « أبو عمرو عثمان » .

٢ — ص ٤ — « فكتب : عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج ، أنا لقينا العدو ففعلنا ، واضطرناهم إلى عرعة الجبل » ، وصواب العبارة : « من يزيد بن المهلب إلى الحجاج : أنا لقينا العدو ففعلنا وفعلنا واضطرناهم إلى عرعة الجبل » ، وتكرار كلمة « فعلنا » ضروري هنا لاستقامة المعنى .

٣ — ص ٧ — جاء العنوان في هذه الصفحة : « من أخبار العلماء والنحاة والرواة من أهل البصرة » ثم أورد تراجمهم إلى ص ١٧٠ — وفي ص ١٧١ جاء هذا العنوان : « ابتداء أمر البصرة ونزول المسلمين فيها » ، والكلام عليه يتضمن مقدار صفحتين ونصف الصفحة من الكتاب . أي مقدار ورقة من الأصل ، ولعل هذه الورقة أقيمت في المكان خطأ ، وموضعها المناسب قبل الكلام على علماء البصرة ، وذلك ليتفق مع ما أورده المؤلف من أمر الكوفة وبغداد .

٤ — ص ٢٢ — « ما دعاك إلى نشر هذا ذكره ؟ » والصواب : « ما دعاك إلى نشر هذا وذكره ؟ » .

٥ — ص ٢٦ — « وقد قرأ العظيم » ، ويبدو أنه قد سقطت كلمة القرآن . قبل كلمة « العظيم » .

٦ — ص ٥٠ — « وأخذ محمد بن بشير هذا المعنى فقال : قل لبغاة الآداب ما وقعت منها اليكم فلا تضيعوها » وأورد بيتين بعده . ولا يوجد شاعر بهذا الاسم ، والصواب أن اسمه « محمد بن يسير » ، وقد ورد اسمه محرفا في الأغاني في طبعتي بولاق والساسي ، وصوب في طبعة دار الكتب .

٧ — ص ٩٥ — ضبطت كلمة « المبرّد » بالراء المشددة المفتوحة في هذه الصفحة وفي كثير من الصفحات ، والقول الفصل في ضبط هذه الكلمة ما أورده ياقوت في معجم الأدباء قال : انما لقب بالمبرّد لأنه لما صنف المازني كتاب الألف واللام ، سأله عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له المازني : قم فأنت المبرّد . بكسر الراء ، أي المثبت للحق . فحرفه الكوفيون ، وفتحوا الراء » .

٨ — ص ١٥٦ — « فإذا سألت عن أبيها قيل : انه رجلا صالحا » . ولعل الصواب « قيل : حسبك به رجلا صالحا » .

٩ — ص ٣١٢ — قال أحمد بن كامل : البحري متهما بوضع الأحاديث ، والصواب : « متهم » .

١٠ — ص ٣٢١ — قال ابن حبيب « اذا قلت للرجل : أبش صناعتك ؟ فقال : معلم ، فاصفع وأشد (بكسر الشين) . ان المعلم لا يزال معلما لو كان علم آدم الأسماء والصواب : « وأشد » بفتح الشين ، كما هو معروف في مثل تلك الأساليب .

وبعد ، فإن هذه الملاحظات وأشباهاها لا تعدو بأن تكون — كما قلت — من باب الاستدراك وإكمال التحقيق . وهي لا تحول دون القول الصريح : ان هذا الكتاب قد حقق على المنهج العلمي المستقيم ، وان الاستاذ المحقق قد أسدى إلى العربية بنشر هذا الكتاب خيرا كثيرا .



العادي والتربية الخاصة « للدكتورين يوسف محمود الشيخ وعبد السلام عبد الغفار ، و « أسس القياس النفسي الاجتماعي » للدكتور سعد عبد الرحمن .

• ترجم الأستاذ محمد أديب العامري كتابا طريفا عنوانه « الحياة والشباب » يرشد الى العناية بالصحة وأثرها في تجديد الحيوية ، وهو من تأليف اريك تريمر . وفي الوقت عينه ظهرت ترجمة لكتاب « ايمان طيب » من تأليف الدكتور تونزييه وترجمة الدكتور عزت زكي . وهو يتناول تأثير القيم الأخلاقية والتربية الروحية في الصحة البدنية والنفسية .

• في الرواية بفنونها صدرت مجموعة من الكتب منها مجموعات أقاصيص مثل « الأيام الخضراء » للأستاذ ثروت أباطة ، و « حكايات من بلدتنا » للدكتور شاكرك خصباك ، و « غناء العناكب » وقد ترجمها عن الأدب الألماني الأستاذة مصطفى ماهر وفؤاد رفقة ومجدي يوسف ، و « من فم رجل » للسيدة هالة الحفناوي .

• شرع الأستاذ مصطفى السقا في اصدار كتاب « الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » ، وقد ظهر منه جزؤه الأول وهو تفسير جزء « عم » . وفي العقيدة صدر للمرحوم الأستاذ محمد كامل عبد الرحيم كتاب « شفاء للقلوب » وفيه دروس أخلاقية مستمدة من الدين ، كما صدر للشيخ محمد الغزالي كتاب « ركائز الايمان » .

• من الكتب العلمية الحديثة صدرت هذه الطائفة « تكنولوجيا البلاستيك » للأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ، و « قراء الرسوم الهندسية » للأستاذ محمد كمال الطيب ، و « العلم والحضارة » للدكتور عبد العظيم أنيس ، و « التغذية ومخاطر الصناعة » للدكتور أسامة أمين العطار .

• صدر مؤخرا العدد الثاني من مجلة « كلية التربية » بمكة المكرمة ، وهي مجلة ثقافية تربوية تصدرها وزارة المعارف السعودية .

يوسف المحجوب . وصدرت سبعة أجزاء من السيرة النبوية « محمد رسول الله والذين معه » وقد رواها الأستاذ عبد الحميد جودة السحار ، و « حسان بن ثابت » للدكتور محمد طاهر درويش ، و « كثير عزة - حياته وشعره » للأستاذ أحمد الربيعي . و « لدفيج فنجشتين » الفيلسوف النمساوي المعاصر للدكتور عزمي اسلام .

• صدر للأستاذ أنور الجندي كتاب جديد موضوعه « تطور الصحافة العربية في مصر » تناول فيه بالتأريخ والتقويم الحركة الصحفية في مصر منذ نشأتها ، وعرف بأعلام رجال الصحافة وكذلك بالمنسقين المجهولين منهم .

• من الدواوين الشعرية الجديدة صدرت مؤخرا هذه المجموعة « زوارق العبير » للأستاذ مصطفى الجوزو ، و « وهج الشباب » للأستاذ ابراهيم خليل العلاف ، و « أغان على الدرب » للأستاذ محمد مصطفى الرزاق ، و « النور من الداخل » للأستاذ محمد الفايز ، و « براعم الربيع » للأستاذ محمد علي اسماعيل .

• نشرت دار اليمامة في الرياض كتابي « نبذة تاريخية عن نجد » أملاها الأمير ضاري ابن فهد الرشيد ، ويليها مقتطفات من القول السديد في أخبار امارة الرشيد . من تأليف سليمان بن صالح الدخيل ، و « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان » تأليف ابراهيم ابن صالح بن عيسى وأشرف على طبعه الأستاذ الكبير حمد الجاسر .

• من الكتب التي تبحث في شؤون التربية ظهرت هذه المجموعة « التعليم المبرمج اليوم وغدا » لولبر شرام وترجمة الدكتور عثمان ليبب فراج ومراجعة الأستاذ محمد سليمان شعلان وتقديم الأستاذ محمد السيد روحة ، و « مرشد المدرس » للدكتورين عبد اللطيف فؤاد ومحمد ابراهيم كاظم ، و « سيكولوجية الطفل غير

• صدرت عن الدار السعودية للنشر مؤخرًا الكتب التالية : « سيرة بطل » للأستاذ محمد حسين زيدان ، و « قدر ورجل » وهو ديوان شعر للشاعر محمد حسن فقي ، و « مباحث في علوم القرآن » للأستاذ مناع القطان .

• ما زالت المعاجم والموسوعات . على ضخامة ما تقتضيه من جهد ، ووفرة ما تتطلبه من معارف بغية الباحثين ووكدتهم في الأمصار العربية المختلفة . ففي سورية صدر « معجم المصطلحات الأثرية بالفرنسية والعربية » وهو من تصنيف الأمير يحيى الشهابي وتقديم الأمير جعفر الحسيني ، وقد صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق . وهو يقع في أكثر من ٤٥٠ صفحة ، وازدان بطائفة كبيرة من الصور والرسوم التوضيحية .

• من الدراسات الأدبية الأخرى التي صدرت أخيرا « مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق » لديفيد دينشس وترجمة الدكتور محمد يوسف نجم ، و « دراسات تمهيدية في الرواية الانجليزية المعاصرة » للأستاذ رمسيس عوض ، و « ماذا أضافوا الى ضمير العصر » للأستاذ غالي شكري ، و « نقد - دراسة وتطبيق » للدكتور أحمد كمال زكي ، و « قصة الدراما الهندية » للأستاذ محمد فكري مراد .

• ظهر للمؤرخ الأستاذ محمود الشقراوي كتاب كبير عنوانه « رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين والأندلس وإفريقيا » رافق فيه هذا الرحالة الكبير في جميع الأماكن التي قصدها . والكتاب يتضمن سيرة الرحالة وخصائصه الشخصية والأسلوبية وكذلك طرائف متعلقة به .

• في باب السير والتراجم ظهرت هذه الطائفة من المؤلفات منه « الامام علي » للأديب الأردني الأستاذ روكس بن زاهد العيزي ، و « سجع الحمام في حكم الامام » وهو أقوال الامام علي التي جرت مجرى الحكمة . وقد صنفه الأستاذة علي الجندي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ومحمد

أحمر وحمرة



ما هو الشيء ؟

قالت الزوجة لصديقتها : « اني وزوجي نحب الشيء نفسه ، ما عدا انه يحب أن يوفر هذا الشيء وأحب أنا أن أصرفه . »

إذا عرف الناب بطل الحب

تلاقى صديقان في الشارع في يوم برده فارس ، وكان أحدهما يرتدي ملابس صوفية . أما الثاني فاكتمى بقميص خفيف . فقال الأول للثاني : « كيف تخرج من البيت بلباس خفيف مثل هذا ؟ الا تتجمد من البرد ؟ » فقال الثاني : « لا أشعر ببرد مطلقا . »

الأول : « غريب ! »
الثاني : « دعني أوضح لك الأمر . لقد اشترت زوجتي معطفا من الفرو ، وكلما أتذكر ثمنه يتصبب عرقى . »

ما تعمل اللفة ؟

وصل رجل الى بلد هو غريب عنه ، وذهب توا الى الفندق . وبعد قليل جاءه مدير الفندق ، وقال : ان السلطات تريدك أن تملأ طلبا باسمك وعنوانك . فقال الرجل : ان اسمي على كل حقبة من حقائبى ، وعنواني أنتم تعرفونه . فاعفوني من هذا العمل ، لأنني في أقصى حالات التعب . وبعد قليل عاد المدير وسلمه الطلب لكي يوقع عليه ، فوجد في خانة الاسم مكتوبا : « السيد جلد ممتاز مكفول . »

باطل البقرى على تخفيف وزنه !

وجد رجل صديقه في مطعم وأمامه أطباق عديدة بأصناف الطعام ، فقال له : « كنت أحسبك ، كما قلت ، تنفذ مشروع تخفيف وزنك ، فماذا جرى ؟ »

فقال الصديق : « هذا صحيح ، وأنا آكل كل هذا الطعام لأقوى على تنفيذ المشروع . »

موضوع انشاء

طلب المعلم من طلاب الصف أن يكتبوا موضوعيا انشائيا عن عائلة فقيرة . وكان بينهم طالب ثري ، فكتب : « عاشت في قديم الزمان أسرة فقيرة . فكان رب الأسرة فقيرا ، وكانت زوجته فقيرة ، كما كان الأطفال فقراء ، وكان سائق سيارتهما فقيرا ، وكانت الخادمة فقيرة ، أما البستاني فكان أفقرهم جميعا ، وكل من له علاقة بهذه الأسرة كان فقيرا ! »

منظر العصر

قال رجل لجاره : « لقد اشترت سيارة لابني لكي لا يتأخر عن المدرسة . » فعجب الجار ، وقال : « كيف يكون ذلك ؟ انه سيتأخر الآن أكثر من ذي قبل ، لأنه سيعتمد على السيارة وينام ، ظانا أن وقته كاف ! فأوضح الرجل : « كلا ، فيضطر الى النهوض باكرا لكي يصل الى المدرسة قبل غيره ويجد مكانا لايقاف السيارة ، والا فانه لن يجد . »

شفاة اطفال

اكتشف معلم أن أحد الطلاب في الصف الابتدائي وضع كتلة من الطين في جيب معطف معلق على الحائط ، فطلب ممن عمل ذلك أن يميز نفسه ، ولكن أحدا لم يتفوه بكلمة . فقال المعلم : « سنغلق أعيننا لمدة دقيقة واحدة ، وعلى من وضع كتلة الطين أن يخرج من الصف . » وبعد أن أغمضوا أعينهم وفتحوها ، لم يخرج أحد .. بل وجد المعلم كتلة طين أخرى بجانب الأولى.

غيرة كلب

دعا شاب صديقا له الى العشاء . وأثناء الأكل كان كلب العائلة ينهش رجل الصديق من تحت الطاولة . ولم يرد الصديق أن يلفت انتباه أحد الى ذلك ، بل كان يرفس برجليه ليطرده الكلب . وأخيرا لم يعد يحتمل ذلك فقال : « ان الكلب أوشك أن يدمي رجلي . » فأجاب صبي كان يجلس على الطاولة : « انه غيور منك لا غير ، لأنك تأكل في صحنه ! »

السراة والافلاك !

جلس ولدان أمام طبق فيه سمكتان ، أحدهما صغيرة والأخرى كبيرة ، فتناول الأول السمكة الكبيرة ، وشرع يأكلها . فنظر الثاني اليه ، وقال : « ما هذه الأخلاق العالية ؟ لو كنت مكانك لأخذت السمكة الصغيرة . » فقال الأول : « ها هي أمامك ، فخذها ! »





إرفاقاً لبرنامجنا التعليمي
التعليم عن البيئة في الربع الخالي
للمدرسة السعودية